آخر أيام بومبى

تأليف : لورد ليتون
تبسيط : مايكل وست
ترجمة : صبرى الفضل
مراجعة : مختار السويفى



١٩٩٠

روائع الأدب العالمي للناشئين

آخر أيـام بومبي

المشرف على التحرير : مختار السويفى

الاخراج الفنى : انعام صالح

مقدمة

بومبى مدينة قديمة تقــع قرب نابولى فى الجنوب الايطالى · دفنت تحت وابل من الحمم والحجارة اثناء ثوران بركان فيزوف عــام ٧٩ بعد الميــلاد ، وبقيت مطمورة تحت ركام بركانى الى أن تم اكتشافها فى عام ١٧٤٨ ·· وظل علماء الآثار سنين طويلة يكشفون عن كثير من النقوش والمبانى والشوارع ، وحافظت الحمم البركانية على آثارها هذه المدينة ، فأفصحت عن حقائق كثيرة هامة عن الحياة اليومية للرومان ، ولذلك تعتبر بومبى مصدرا هاما جدا فى هذاالمجال ·

كانت مدينة ساحلية جميلة على شكل بيضاوى ،

ومحاطة أغلبها بسور حصين به ثمان بوابات ٠٠ وكانت شوارعها معبدة ، ومقسمة بشكل هندسى بديع ، من الشمال للجنوب ، ومن الشرق للغــرب ٠٠ ومن بين المبانى الرائعة التى تم الكشف عنها : معبد جوبتر ، ومعبد ايزيس الالهة المصرية القديمة ، الذى عثر عليه فى حالة جيدة ، ومعبد فينوس الذى وجدت فيه الكثير من النفائس ، التى قد تركها سكان المدينة وقت حدوث ثورة البركان ٠

كما تم الكشف عن مسرح مكشوف شبه دائرى يستوعب نحو خمسة آلاف متفرج ، وهو من افضل المبانى حالا ، التى من هذا النوع ، والتى دامت الى الآن منذ بداية التاريخ الميلادى ٠٠ كما تم الكشــف عن مبانى عامة أخرى مثل ثكنات المصارعين ، وثــلاث حمامات عمومية ٠٠ وفى الجزء الشرقى يقع المدرج العظيم الذى يضم مقاعد العشرين الف متفرج حــول الحلبة الكبيرة ، وهو اقـــدم مبنى من نوعه معروف لدينا ٠٠ أما المنازل فقليل من نوافذ حجراتها تطل على الشوارع ، فهى تطل على ساحة مكشوفة تتوسطها ،

لتسمح بدخول الضـوء ولسقوط الامطـــار فى بركة للانتفاع بها ، ، هذا بالاضافة للحديقة الملحقة بكل منزل تقريبا ٠٠ وكثير من هذه المنازل فى حالة ممتازة حتى أنها تركت كما هى عليه ، ليراها السياح فى مواقعها الطبيعية ، مثل منزل يدعى بمنزل كاستور ، وآخـــر بمنزل بولوكس ، ومنزل فاون الملىء بالتماثيل وبرسوم الموازيك على الجدران ، ومنزل فيتى الرائع ، ومنزل بانزا اكبر منازل المدينة ، ومنزل ســـالوست ،ومنزل ماركوس لوكريتوس ، ومعظمها مبنى بالحجر الجيرى ٠ وتعد النقوش الجدرانية الموجودة فى مبانى بومبى من المصادر الرئيسية عن الرسم الرومانى ، التى مازالت الوانها حية بشكل ملحوظ ٠

واول من ســكن مدينة بومبـــى قوم ايطاليون اسمهم الاتروريون فى القرن الثامن قبل الميلاد ، ثم رزحت تحت النفوذ اليونانى فى القرن السادس قبل الميلاد الى أن أصبحت تحت الحكم الرومانى الصرف كنتيجة للحرب الأهلية (٩٠ ـ ٨٨ قبل الميلاد) حيث سيطرت بعدها الامبراطورية الرومانية على كل شـــبه

الجزيرة الايطالية واثناء هذه الحرب كانت بومبى تشكل معارضة عسكرية رئيسية قوية لروما ، ولكنها خضعت ومنح سكانها الجنسية الرومانية · ومع ذلك وبسبب مقاومتها ، تمركزت فيها مستعمرة عسكرية رومانية ، وكان ذلك فى عام ٨٠ قبل الميلاد ·

ونتيجة لذلك انتشرت بسرعة العادات والتقاليد الرومانية مع اللغة اللاتينية ·

وتطورت بومبى تحت حكم روما الى ميناء بحرى مزدهر ، وأصبحت مركزا صغيرا للصناعة والزراعة · وجذبت كثيرا من الأثرياء الذين تفننوا فى بناء البيوت والفيلات الجميلة · ووصل الرخاء والترف ذروته خلال القرن الأول الميلادى ، عندما أصبح تعداد سكانها يزيد على عشرين الف نسمة وهذا ليس بالعدد القليل فى ذلك الوقت وتسبب زلزال عام ٦٢ العنيف فى خسائر عظيمة ، ولكنهم أعادوا بناءها فورا ·· وأصبحت مرتعا للملذات ولهو عائلاتها وعائلات روما والذين يأتون اليها كمنتجع ذائع الصيت للسكر والعربدة ، والاستمتاع بالجوارى ونشر تجارة الرقيق ، والدعارة

وفى عام ٧٩ ثار بركان فيزوف القريب منها بعنف مباغت فأرسل عليهـا باطنان من الحمـــم البركـانية والحجارة المتطايرة فى الهواء فخســـفت بالمدينة ، وغطتها تماما بارتفاع يتراوح بين ١٠ ــ ٢٠ قدما ٠٠ وحاول السكان الفرار ، ولكن أكثر من ألفى نسمه لاقوا حتفهم ، وبعضهم موجودون بنفس الحالة التى كانوا عليها ساعة موتهم ٠

أمــا النقوش والكلمات التى وجــدت فوق جدران « بومبى » ، بغض النظر عما اذا كانت قد وجدت فوق جدران أماكن مقدسة أو غير مقدســة ، أو فى اماكن خاصة أو عامة ، فهى تقرب الرومان منا كما لو كانوا يعيشون بالأمس القريب ٠٠ وكان معظمها بذيئا ولكن اعجب هذه العبارات المنقوشة ، هى ثلاث كلمات تــم العثور عليها :

« قضاء الله قادم »

انها ترجــــع فيما يبدو دمار بومبى الى قضـــاء

الهى ··· كلمات بسيطة تحملنا مايقرب من ألفى عــام
على التفكير والتأمل فى قوم نوح ·· وعاد ·· وثمود

فهل كانت ضربا من التنبوء بالمستقبل ، مكن أحد
الأشخاص من رؤية ذلك القدر المحتوم ؟!

« المترجم »

مدينــة بومبى

كانت بومبى مدينة ساحلية فى جنوب ايطاليا ·
عاش فيها كثير من الرومانين الأثرياء · وكان يوجد بها
معبد لايزيس (الالهة المصرية) ·

وزمن هذه القصة هو عام تسعة وســـبعون بعد
ميلاد المسيح ، وكان هناك عدد قليل من المسيحيين فى
بومبى ، وكانوا جميعهم من الفقراء والمســاكين وكان
هناك جبل بالقرب من بومبى اســـمه فيزوف وهو فى
الحقيقة بركان ، وعندما يثور تتفجر منه الحمم ويقذف
ما بداخله من سوائل ملتهبة وغازات واتربة وأحجار
حارقة فى كل مكان يحيط به ·

ولكن ما أهمية بضعة آلاف من السنين اذا ماحسبت بساعة الابدية التى تقيس ايقاع التطور الانسانى ٠٠ ؟ !

ولا تزال عجلات التاريخ تعبر الكون ، والمشهد فى تغير دائم ٠٠ حضارات تقبل وأخرى تدبر ٠٠ وتمضى أجيال عقب أجيال على طول الطريق ٠

وياله من طريق هائل حافل بالتجارب الانسانية ، وكم يطيب لنا أن نقف برهة فى صمت لننظر الى الوراء ونتأمل لكى نتعلم من كل مامضى !

وفى ٢٤ أغسطس عام ٧٩ بعد ميلاد المسيح ، ثار فيزوف ومات مئات من الناس ، وغطيت المدينة بالحمم التى قذف بها البركان اثناء ثورانه ٠

وبعد مئات من السنين بدأ العلماء فى حفائرهم يكشفون عن المدينة ، فعثروا على شـــوارع ومنازل وأسواق ، وكثير من الأشياء التى أستخدمها الناس فى بومبـى ، حتى بعض جثث هؤلاء الذين عاشـــوا فى المدينة ، وقت ثوران البركان ٠٠ وهكذا اسـتطاعوا معرفة حياة الرومانيين الذين عاشوا منذ تسعة عشرة قرنا من الزمان ٠٠

كان الشارع المسمى دوميتيان مزدحما بالناس ، وكان من بينهم شاب يدعى جلوكاس ، تبدو عليه علامات الثراء ، فملابسه فخمة ، وحول رقبته طوق من ذهب . كان أثينيا ، ولد فى مدينة أثينا ، وفى الحقيقة كان وجهه يشبه وجه اله اغريقى .

نادى جلوكاس على صديقه الشاب :

ــ ها .. كلوديوس ! لقد ربحت مالا كثيرا منى ، فى الليلة الماضية !

فقال كلوديوس :

ــ ياعزيزى جلوكاس ، ان خسائرك لا يبدو انها أزعجتك ، فوجهك يشرق بالسعادة .

ــ ولماذا تجعلنى خسارة بعض قطــع من ذهب وفضة تعيسا ، ونحن لدينا شمس مشرقة وموسيقى عذبة ونساء جميلات ؟

واثناء حديثهما وصلا الى مفترق طرق يتفرع الى

ثلاثة شوارع ، وتقف فتاة صغيرة معها سلة من الزهور وتعزف على آلة موسيقية صغيرة وتغنى ، وكانت المارة يلقون بالنقود فى سلتها ، فقال جوكاس :

- انها نيديا المسكينة ، الفتاة العمياء : انها لاتبصر !

ثم وجه حديثه اليها قائلا :

- نيديا ياحلوة ، لابد أن أحصل على هذه الزهور، أما صوتك فيزداد جمالا على جمال !

ووضع بعض قطع من النقود فى سلتها · فقالت نيديا فى صوت خفيض ، ولكنه كان مفعما بالسعادة :

- اذن ، لقد عدت ·· جلوكاس قد عاد !

- أجل · ان حديقتى تحتاج لرعايتك · آمل أن تأتى غدا ·

وعندما ابتعدا عنها ، قال جلوكاس :

- مسكينة نيديا ! انها عمياء وجارية فى الوقت نفسه : يملكها رجل يدعى بوربو ·



انها عمياء وجارية فى ألوقت نفسه

فقال كلوديوس :

ـ انظر ! هاهى جوليا الثرية ، ابنة ديوميد ٠

وقالت جوليا ، موجهة كلامها لجلوكاس :

ـ اذن ، لقد عاد جلوكاس !

ومنحته نظرة ذات معنى ، وأضــــافت فى صــوت منخفض :

ـ هل نسى جلوكاس أصدقاء العام الماضى ؟

فقال جلوكاس :

ـ جوليا الجميلة ! وكيف لى ان انساك !

فقالت جوليا ملتفتة لكلوديوس :

ـ سوف نراكما فى منزل أبى قريبا ٠

وسار الصديقان الى أن وصلا البحر ، فجلسا على صخرة ، وشــــردا فى صمت طويل ، ثم بادر جلوكاس قائلا :

– اخبرنى ياكلوديوس ، هل حدث أن أحببت ؟

فاجاب كلوديوس :

– **كثيرا** ٠ ولكنى لا أصدق أنك تقع فى الحب ٠٠ **من هى ؟ من تكون ؟ جوليا ؟ انها تحبك ولا تحاول** أن تخفى ذلك ٠٠ وهى جميلة وثرية ٠

– لا ، ليست جوليا ٠ سأخبرك من تكون : فى يوم ما فى نابولى ، ذهبت الى معبد الالهة « منيرفا » وصليت ودعوت ٠ **لم يكن دعائى من أجلى ولكن لأثينا** ، مدينة اليونان الجميلة ، وطنى ، ولكن اثينا لم يعد يحكمها اليونانيون ، انها ترزح تحت سلطة الرومان ٠

وعندما استدرت لمغادرة المعبد ، رأيت من خلفى فتاة كانت تصلى هى أيضا ، فالتقت عيوننا ، ولم أر فى حياتى وجها بهذا الجمال ٠ كانت تبكى ٠٠٠ فشعرت يقينا انها اثينية مثلى ، وأنها هى أيضا تدعو لاثينا ولوطنها ، **فقلت لها :**

– هل أنت أيضا أثينية ؟ ٠٠ دعينا نصلى سويا ٠ !

وهكذا ركعنا جنبا الى جنب · وشعرت وكأننى أعرفها منذ سنين · وتركنا المعبد فى صمت ، وكنت على وشك أن أسألها أين تسكن ، وهل لى أن أزورها ، ولكن جاء شاب وأخذ بيدها وصحبها · وكان وجهه يشبه وجهها كثيرا ، لعله كان أخاها ·· والقت على بالتحية ولم أرها ثانية · وسألت أنـــاس كثيرين فى نابولى ، وحاولت أن أعرف من تكون ، ولكن لم أستطع · وعدت بعد ذلك الى بومبى ، وحاولت أن أنساها ·

هذه هى كل الحكاية · اننى لا أحب ··· ولكنى أعيش على الذكرى ، ولا أستطيع أن أنساها مطلقا !

الفصل الثانــى

مـــــنزل جلـــوكاس

كان منزل جلوكاس من أصغر المنازل فى بومبى ، ولكنه كان من أجملها ·· وكان طعام العشاء منصوبا فى حجرة مفتوحة على الحديقة ·

وكان بانزا محتسب بومبى مدعوا على العشاء ، وهو الموظف الرومانى المسئول والمكلف بالاشراف على الأشغال العامة والألعاب والشرطة وشئون التموين ،

فقال لجلوكاس :

ـ ان منزلك يشبه علبة المجوهرات : صغير ، ومع ذلك ملىء بالأشياء الجميلة ·

وقام العبيد بتقديم العشاء وصب النبيذ فى كؤوس من الفضة ·

واكلوا وشربوا وتبادلوا الحديث ·

وقال الشاب سالوست :

ـ أرجو أن يكون هذا هو كأســـى الاخير · انه أفضل نبيذ احتسيته فى بومبى ·

ولكنه لم يكن الاخير ، لأن سالوست كان سكيرا عتيدا ، فأفرط كثيرا فى الشراب ·

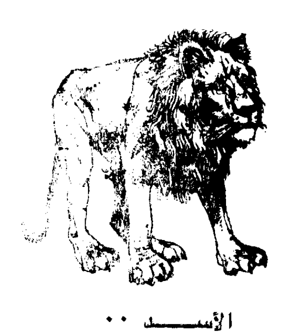
وقال كلوديوس لبانزا :

ـ متى حفلة مصارعة الوحوش القادمة ؟

فأجاب بانزا :

ـ فى اليوم التاسع من أغسطس ، ولدينا اســـد رائع جدا ·

ـ هل لديك بعض المســـجونين لمنازلة الأســـد ،



الأســـد ..

فالناس تحب مشاهدة القتال بين الانسان والأسد ·
والتفت سالوست الى جلوكاس وقال :

– هل قرأت القصيدة الجديدة عن الالهة المصرية ، ايزيس ؟

فقال جلوكاس :

– يبدو أنه يوجد كثيرون ممن يؤمنون بايزيس فى بومبى ، وهناك مصرى يدعى ارباسيز قد لقن بعض أسرار ايزيس الدينية المقدسة للكهنة الذين يخدمون الالهة ·

فقال بانزا :

– انه ثرى جدا ، ولقد سمعت أنه يمارس السحر ان السحر غير مسموح به قانونا ، ولقد طرد محتسب روما كل السحرة من المدينة ، ولكن ارباسيز ثرى جدا ، ولا أجرؤ أن أفعل شيئا ازاء ذلك ·

فسأل جلوكاس :

– ما رأيك فى هذا الاله العبرى الجديد المسمى

بالمسيح ؟ يوجد بعض اتباع لهذا المسيح فى بومبى ٠ ماذا تعتقد فيهم ؟

فضحك كلوديوس قائلا :

ـ انهم اناس فقراء ، ولا يوجد سيد واحد بينهم ٠

فقال بانزا :

ـ انهم يسمون بالنصارى ، وهم لايؤمنون بآلهتنا الرومـــانية ، فينوس وجوبتر ، واذا أمســـــكت بهم فسأقودهم الى حتفهم ٠

عزفت الموسيقى وغنى صوت شاب جميل أغنيــة كتبها جلوكاس عن المساء ، **فقال كلوديوس :**

ـ جميل ! ٠٠ فهذه الموسيقى اليونانية ستجعلنى أفكر فى الفتاة اليونانية ، ايون ٠

فسأل جلوكاس :

ـ ومن هى ايون ؟

فاجاب بانزا قائلا :

– انها أجمل فتاة فى بومبى ، وصوتها مدهش ٠

فقال كلوديوس :

– جاءت الى بومبى منذ فترة قصيرة ٠ انها تغنى اغنيات كتبتها بنفسها ، كما أنها تعزف جميـع الآلات الموسيقية ، ومنزلها رائع ٠ انها ثرية من اصل طيب ، وتهب مالها لكل محتاج ٠ ان جميع رجال بومبى يتزلفون اليها ، ولكنها لا تبدى محاباة لأى أحد منهم ٠ انها لن تتزوج من أى منهم ٠ هل تحب أن تقابلها ؟

فقال جلوكاس :

– نعم ، أحب أن اقابلها !

فقال كلوديوس :

– تعال ! فلنذهب الآن ٠

وخرجا الى الشارع الى أن وصلا الى منزل ايون، ودخلاه ٠ كانت الصالة الفسيحة مضاءة بمصـــابيح عديدة ، والجدران مغطاه بالرسوم الجميلة ٠

وقادهمـــا أحد العبيد الى الحديقة ، حيث كانت تجلس ايـــون فى وســـط جمهرة من الشباب ، وسأل جلوكاس عندما اقتربا منها :

ـ هل قلت أنها اثينية ؟

ـ لا ، انها من نابولى أصلا ٠

فردد جلوكاس قائلا :

ـ من نابولى !

وعندما واجهـــاها رأى ذلك الوجه الجميل الذى عاش فى خياله كل تلك الشهور ٠٠٠ الوجه الذى لم يستطيع أن ينساه ولم يكن يأمل ابدا أن يشاهده ثانية ٠

انها فتاة معبد الالهة منيرفا فى نابولى !



الفصل الثالث

اربا سيز وكالينوس

كان ارباسيز المصرى يسير ببطء عبر الســـوق الرومانى - وهو ميدان فسيح يستخدم كمنتدى عــام للمناظرة والنقاش · كان ارباسيز طويلا ، وقورا ، له بشرة سمراء وعينان سوداوان واسعتان · تنفذان من خلال من ينظر اليه ولذلك فالكل يتجنب نظراته ويولى هاربا منه ، اذ يعتقد الجميع انه ساحر ·

وصل أرباسيز الى معبد ايزيس ، وكان مبنى جديدا حيث أن العديد من أهل بومبى قد اصبحوا أخيرا من المؤمنين بالالهة المصرية ·

وخطا صاعدا درجات السلم ، حيث وقف جمهور من الرجال أمام تمثال الالهة المنحوت من الحجر وكان التمثال مطليا بطلاء براق وعلى رأسها تاج من الذهب · ووقف كاهنان لايزيس كل على جانب عند قمة السلم ، وكانا يرتديان ملابس بيضاء ·

وتطلع اربا‌ســـيز الى جمهور الرجال فى المعبد وسأل :

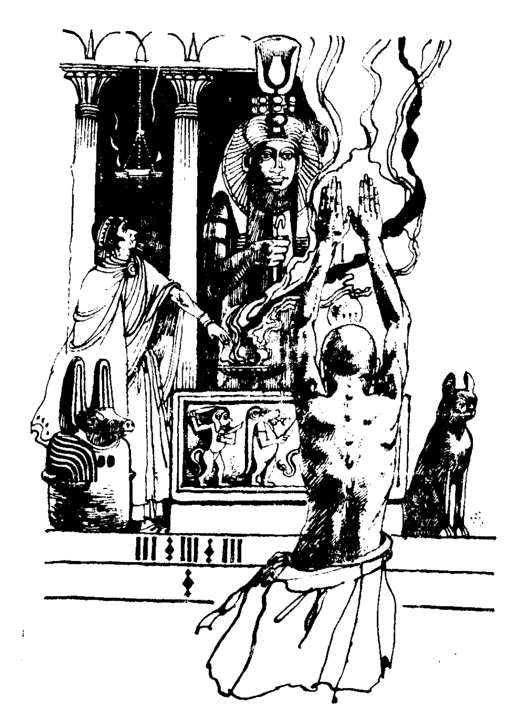
ــ من أنتم ؟

فقال واحد منهم :

ــ نحن تجار · لقد أتينا لنسأل اذا كان من الأمان لسفننا أن تبحر غدا ·

فعزفت الموسيقى ··· وظهر رجل لا تستر جسمه سوى قطعة قماش ملتفة حول وسطه ·

ونثر البخور فوق النار المشتعلة فى المذبح القائم أمام الالهة ، فانبعثت رائحة فواحة حلوة · وارتفــع صوت الموسيقى رويدا رويدا وأخذ الرجل يرقص ، وهو



وانطلقت رائحة البخور فواحة وحلوة !

يصيح طالبا من التمثال الاجابة · وازدادت رقصاته هياجا ، الى أن سقط بلا حراك فوق الأرض ، وكأنه قد فارق الحياة ·

ورفع أحد الكهان يده ، وساد صمت عميق ·

ثم سمع صوت من داخل التمثال :

ـ ستهب العواصف فوق البحر ···

ولكن سفنكم ستنجو ·· !

قد تعنى هذه الكلمات أى شىء أو لاشىء على الاطلاق ، ولكن التجار ظهرت عليهم علامات السعادة وغادروا المعبد فرحين مستبشرين ·

وانتظر ارباسيز ، الى أن خرج كاهن من داخل المعبد ··· كان اسمه كالينوس ··· وكان قبيحا جدا له أذنان كبيرتان ناتئتان من رأس كبيرة صلعاء ، وعيناه صفراوان ووجهه أغبر ، **فقال ارباسيز :**

ـ لقد أصلحت صوت التمثال وجعلته أفضل ·

والكلمات ايضا طيبة ··· واذا حدثت عاصفة ونجت سفنهم فسيعودون ويقولون أن ايزيس الهة عظيمة ، أما اذا دمرت ســـفنهم فلن يعودوا ، ودائما قل أن الخير سيأتى ، ولا تقل العكس ·

فقال كالينوس :

ـ اتمنى أن يتعلم ابيسيديز حكمتك ·

فقال ارباسيز :

ـ عندمـا كنت فى نابولـــى قابلت ايون واخاها ابيسيديز وعرفت أباهماوامهما،وقبل وفاتهما وضعاهما تحت رعايتى ، وجعلانى الوصى عليهما وأقـوم بدور الأب لهمـا · ولقد وضـــعته بينكم حتى يصبح كاهنا لايزيس ·

ـ انه لم يعد مؤمنا بآلهتنا انه مضطرب بســبب تمثالنا المتكلم ، ولا يأتى الى المعبد · ولقد شاهدناه فى صحبة هؤلاء المسيحيين الذى جاءوا بيننا مؤخرا ·

فقال ارباسيز فى صوت منخفض :

– هذا ما اخشـــاه ، لقـــد ابتعد عنى فى الآونة الأخيرة · يجب أن أعيده ثانية · يجب أن أكسبه ، فمن خلاله ساكسب ود ايون · يجب أن تكون ايون لى !
فسال كالينوس :

– وكيف أستطيع مساعدتك ؟

– يمكنك ذلك بمراقبة ابيسيديز : لاحظ أين يذهب اعرف من يقابل · انه غالبا ما يتنزه فى غابة سيبلى · تلك الغابة الصغيرة التى تعلو التل حيث يوجد معبد الالهة سيبلى ·

الفصـــل الرابـــع

نيديا ، بائعة الزهور العمياء

وقف جلوكاس فى قاعة منزله الجميلة متطلعا الى الحديقة ، وقلبه مفعم ، بالفرح ، **وأخذ يقول لنفسه** :

ـ لقـــد رأيتها ! لقد تحدثت معها ثانية · لقـــد استمعت لصوتها الملائكى ·· انها فتاة أحلامى !

ودخلت نيديا بائعة الزهور العمياء ، فرحب بهـا جلوكاس **وقال لها** :

ـ آه ، نيديا ! لقد جئت كما طلبت منك ·

ـ انك عطوف نحوى دائما · كيف حالك ياسيدى؟

– بخير ، وأنت يانيديا · لقـــد كبرت منذ رأيتك آخر مرة · وفى الســـنة القادمة ستفكرين فى الحب والزواج ·

وأخذ يتحدث معها كأخ أكبر ، لكن كلامه كان يثير غضبها ، لانه يشعرها انها مازالت صغيرة ،فقالت:

– لقد أحضرت لك بعض الزهور · وكنت أحضر كلما أستطعت للعمل فى حديقتك اثناء غيابك ، ولكن فى الآونة الأخيرة ، أصبحت الشمس حارقة ، كما أنني مرضت مؤخرا · والآن لابد أن أذهب لأروى حديقتك ·

فقال جلوكاس فى سريرته وهو يراقبها :

– مسكينة يانيديـا ، ان حياتك تعيســـة ، فأنت تعيشين فى حرمان ··· ولا تستطعين رؤية الارض ·· ولا الشمس ·· ولا البحر ·· ولا النجوم ·· والخسارة الكبرى انك لاتستطيعين رؤية ايون ·

وانهت نيديـــا عملها فى الحديقة وغادرت منـزل

جلوكاس ، متلمسة طريقها عبر شوارع مزدحمة ، ثم ولجت فى طرق ضيقة الى أن وصلت للباب الخلفى لمنزل بوربو ، فهى جارية عنده · وكان بوربو أخا لكالينوس كاهن ايزيس ، فسألها بوربو :

ـ كم حصلت على مال من بيعك للزهور ؟

فقالت ستراتونيس زوجة بوربو :

ـ انها تحصل على قليل من المـــال مقابل بيـــع زهورها · ولكن صوتها سيطلبونه مرة أخرى فى تلك الحفلات التى يقيمها ارباسيز فى منزله ، وهو يجزل فى الدفع ·

فصرخت نيديا :

ـ أوه ، لا ! سأقف فى الشوارع وأبيع الزهور من شروق الشمس حتى غروبها ، ولكن لا ترسلونى الى

ارباسيز ! فالنساء اللائى التقيت بهن هناك أحط من فى بومبى كلها ، وليس من الانصاف أن أختلط بهن .

فقال بوربو :

– انك جارية فى منزل بوربو ! هل أنت أفضـــل منهن ؟

فوضعت نيديا زهورها جانبا ، وأخذت تبكى .. !

الفصـل الخامس

جلوكاس وأيـون

ذهب جلوكاس الى منزل ايون ، فوجدها جالسة بين خادماتها المشتغلات فى عملهن من حولها · وبدت فى نظر جلوكاس أكثر جمالا وهى فى ثوبها البسيط ، تحت ضوء الصباح ·· اكثر مما رآها متحلية بالجواهر فى المساء من قبل ·

وتحدثا عن اليونان · وتحدث هو عن الأشجار الفضية على ضفاف نهر اليسوس ، وعن المعابد التى كانت جميلة فى يوم ما ، ولكن الآن لم يعد أحد يعتنى

بها تحت حكم الرومان · واستمعت ايون له فى صـــمت فهى تحب سماع أى حديث عن وطنها · وأحبت أن تكون مع رجل من اثينا ، مدينتها المفضلة ، فكانت ترى فى صوته آلهة شعبها وأرض أحلامها ·

وبعد ذلك أصبحا يتقابلان كل يوم ، وفى جو المساء اللطيف كثيرا ما يســتقلان زورقا يدور بهما فى مياه البحر الزرقاء المطعمة بلجين القمر · كان حبهما مباغتا وقويا ·

وفى أمسية من الأمسيات ، وكان لقاؤهما الخامس وسارا حول الخليــج فى زورقهما والبحر كالزجـــاج الاملس ، ولم يكن هناك أى صوت سوى صوت لثمات الماء الهادئة لحافة الزورق ، فتمدد جلوكاس عند قدمى ايون ، وقالت ايون :

– كنت أتمنى أن يكون اخى المسكين معنا ليستمتع بهذه اللحظات البديعة !

فقال جلوكاس :

ـ اخوك ! هل هو الذى كان معــك فى المعبد فى نابولى ؟ وهل هو الآن فى بومبى ؟ لماذا لم التقــى به ابدا ؟

ـ اسمه ابيسيديز • انه كاهن فى معبد ايزيس • عندما توفى أبونا وأمنا أخذنا أرباســيز في رعايته ، وعمل على أن يخدم أخى ككاهن لايزيس •

ـ وهل أخوك سعيد بذلك ؟

ـ لا ، كنت أتمنى الا يقبل بسرعة هذا الوضع •• فآماله كثيرة وكبيرة ••

ـ هل أرباسيز كاهن لايزيس ؟

ـ لا ، انه ليس كاهنا ، ولكنه عالم مثقف جدا •

ـ لقد قابلت ارباسيز انه رجل غريب فاتر وبارد كالثلج •

ـ ربما يبدو باردا ، لأنه قد قاسى كثيرا ، ولكنه عطوف وحكيم •

ثم أشارت ايون الى جبل فيزوف ، **وقالت :**

– ومع ذلك ، ربما يشبه ذلك الجبل الذى يخفى النيران بداخله ٠

كانت السماء تلمع بالذهب المختلط باللون الأحمر لغروب الشمس ، ولكن كانت هناك سحابة ســوداء وخطيرة فوق قمة الجبل ٠

ارباسيز : ابيسيديز : أيون

كان ارباسيز فى طريقه الى منزل ايون ، عندمـا شاهد أبيسيديز واقفا تحت ظل شجرة ، فذهب اليـه واحاط ذراعه بيده ، **وساله :**

ــ لماذا تبتعد عنى ؟ انا صديقك ، الوصى عليك ٠
فاجاب ابيسيديز :

ــ انك عدوى !

ــ أنا لست عدوك ٠ لقد ارســـلتك لمعبد ايزيس كتجربة ٠ اردتك أن تكتشف أن الامور التى يقومون بها هناك ماهى الا لارضاء البسطاء والعامة من الناس ٠

ولكن ، بعد ما رأيت من تلك الحماقات مافيه الكفـاية أود أن أقودك لتتعلم الأمور الحقيقية ، التى تنسـب لايزيس ·

– وماذا ستعلمنى ؟ مزيدا من الحماقات ؟!

– سأعلمـك الأمور الحقيقية ، الحقائق العظيمة التى تكمن خلف ماقد رأيت ··· الأسرار التى تدرسها مصر · تعال عندى الليلة وسوف تتعلم ·

وسار ارباسيز متجها الى منزل ايون · وعندما هم بالدخول ، سمع صوت شاب ، ثم رأى جلوكاس يجلس بجانب ايوب ، والخدم كانوا بعيدين عنهما ، وألـة موسيقية ملقاة عند قدمى جلوكاس ·

ومرت سـحابة من الغضب عبر وجه ارباسيز · فوقف ، ثم عاد وجهه باردا كالثلج ، تماما كما كان من قبل ، ثم اقترب منهما بخطوات هادئة ، وكان جلوكاس يقول :

– قبل مانحب ، كنا نعتقد أن الشعراء يصـفون

الحب بصدق ، ولكن عندما جاء الحب ، أحسسنـــــنا بالسحر والجمال الحقيقى ·· عندما تشرق الشمس فلا مجال لرؤية النجوم ·

ـ هذه فكرة جميلة ياعزيزى جلوكاس ·

وتطلع كلاهما ، وشاهدا من خلفهما وجه ارباسيز البارد ، فوقف جلوكاس ، **وقالت ايون :**

ـ اننى سعيدة ان أراكما أخيرا سويا !

فقال ارباسيز :

ـ عندمـــا جئت فى المرات الثلاث الماضية لـم أستطع العثور عليك فى منزلك ·

فاجابت ايون ، وهى لاتعرف تماما ما تقول :

ـ لا ·· لا ·· كان البحر جميلا فشعرت برغبة ملحة للخروج ·

القى جلوكاس بالتحية مودعا ايون ، وعندما ذهب جلس ارباسيز قرب ايون ، **وقال :**

– هل تعتقدين أنى كوصى عليك ، أود أن أقلل من حريتك ؟ انك يونانية ، والنساء اليونانيات لديهن حرية أكثر من الرومانيات ٠ ولهذا السبب يجب أن يكن أكثر حرصا ٠ قد تجذبين جمهرة من الشباب عند قدميك ، ولكن تذكرى أن هناك أناسا لا تستطيع أن تكون سعيدة مثلك ، وهؤلاء الناس سيراقبونك ، وسيتكلمون ضدك ، اذا أعطيت لهم الفرصة ٠ كونى حريصة ، ولا تعطيهم الفرصة ٠ ان شرف الفتاة واسمها الطيب يمكن أن يضيع بسهولة ٠

فقالت ايون بصوت منخفض ، وقلبها مملوء بالخوف :

– ماذا تقصد يا ارباسيز ؟ ماذا تريد أن تقول ؟

– كيف قابلت هذا الرجل ٠٠ هذا الجلوكاس ؟

– لقد حضر الى منزلى مع كلوديوس ، وهو يونانى مثل أبى ٠ لقد عرفته منذ أسبوع واحد فقط ٠ ولماذا تسأل هذه الأسئلة ؟

– هل تعرفين أى نوع من الرجال هو ؟ انه ينفق

وقته فى سباق الجياد واللهو والقمار ، مع اصدقاء على شاكلته ، فكيف يعرف معنى الخير ؟ لقد قال بالأمس فى حمام السوق صراحة ، أنك تحبينه · وعندما سأله كلوديوس اذا كان يحبك حبا يؤدى الى الزواج منك ، ضحك ·

ـ ذلك لايمكن · وكيف سمعت هذا ؟

ـ لقد سمعت هذا من اناس عديدين · وجعلنى ذلك حانقا جدا ، ولهذا أسـرعت الى هنا ، لاخبرك بالخطر المحيط بك · أنا صديقك الحقيقى الوفى ، هل يمكن أن تغفرى لى قيامى باخبارك عن ذلك ؟

وعندما غادر المنزل طأطأت ايون رأسها ، ثم صرخت قائلة :

ـ الحب ! ·· ما هو الحب الحقيقى ؟ !

وبكت ·· !

الفصـــل السابع

تعال معى وتعلم !

وعندما جاء المساء ، شرع ابيسيديز فى الذهاب الى منزل ارباسيز ··· فسار عبر شوارع معتمة ضيقة ·· وكانت ذراعاه معقودتين ورأسه محنيا ·

ومـــر من أمامه رجل طويل ، ثم التفت وعاد اليه قائلا :

ـ ابيسيديز !

ثم قام بحركة سريعة من يده فى شكل صليب ·

ـ حسن ·· اولينثوس ، ماذا تريد ؟

فقال اولينثوس :

– لا أود أن أقطـــع عليك أفكارك ، ولكن عندمـــا التقينا آخر مرة كنت تبدو أكثر سعادة لرؤيتى ٠

– اننى حزين ومتعب ومرتبك ، ولا أستطيع أن أتحدث معك هذا المساء عن تلك الأمور التى تعنى عندك الكثير ٠

– اذا كنت متعبا وحزينا ، تعال الى الرب فهو من يستطيع أن يساعدك ٠ استمع الى كلمات ربك : وتعال الى وسأمنحك الراحة والاطمئنان ؟

فقال ابيسيديز :

– ليس الآن ! فى وقت آخر سأصغى اليك ٠

وافلت من اولينثوس ، وركض الى منزل ارباسيز ٠

وفتح الباب عبد طويل ، ثم قاد ابيسيديز صاعدا درجات سلم ضيق مؤدية الى حجرة علوية ، ثم واصلا سيرهما الى حجرة صغيرة مضاءة باضاءة خافتة فى

طرف آخر من المنزل ٠٠ وكان ارباسيز جالسا أمـام منضدة مغطاة بالكتب وبأدوات غريبة ، **فقال ارباسيز :**

ــ اجلس ، لقد أتيت لتسألنى عن أعظم سر يمكن للعقل البشرى أن يتعلمه ٠٠ سر الحياة نفســها ٠٠ اننا نشبه الاطفال فى الظلام ٠ اننا لانعرف بماذا نؤمن ٠٠ وكل مانستطيع أن نفعله هو أن ندرس العالم من حولنا ، والنجوم التى فوقنا ، ونستمتع بهذه الأرض ٠٠ دنيانا ٠٠ وهذه الحياة التى لدينا الآن ٠٠ والآن بما أنك تركت تلك الأمــور الحمقاء الخاصــة بالمعبد ، والمقصود بها العامة من الناس فقط ، فسوف تتعلم علم الأرض وعلم النجوم ٠٠ وسوف تتعلم متع هؤلاء الذين لم تعد عقولهم عبيدا لتعاليم اله صنعه الانسان ٠ هناك الموسيقى والأغانى والخمر والنســاء ٠٠٠ تعال معى وتعلم !



الفصـل الثامن

حانـة بوربـو

كان المصارعون رجالا يحاربون حتى الموت ، ضد بعضهم البعض ، أو ضد الوحوش الكاسرة أمام الناس، فى حلبة فسيحة ، وسط المدرج الرومانى ، الذى يشبه الاستاد الرياضى حاليا · وكانت الحلبـة عبارة عن ساحة مغطاة بالرمال ومقاعد المتفرجين تطل عليها من كل جانب · ويدور قتال المصارعين مع بعضهم البعض ، أو مع الحيوانات المفترسة فى الحلبة ، ويأتى أهل المدينة كلها للمشاهدة ·

وكان بوربو مالك نيديا وسيدها ، مصارعا فى يوم

من الايام ، والآن أصبح بائع خمور ، وأصبح منزله ملتقى المصارعين ٠

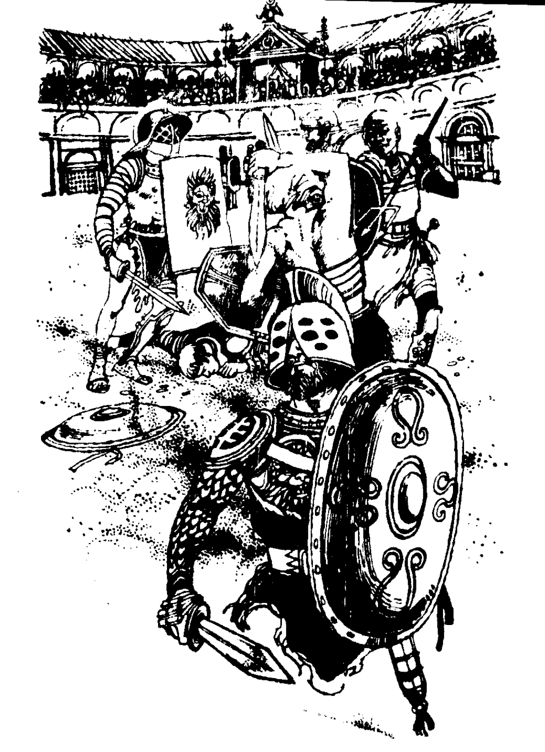
كان الوقت مساء ، والحجرة تكتظ برجال ضخام اقوياء ٠٠٠ رجـــال يشبهون حيوانات منقرضـــة ٠٠٠ يعبون الخمر عبا ، ويلعبون القمار ويتشاجرون لاتفه الأسباب ، وقال واحد منهم بصوته الأجش :

– قل لى يابوربو ، اين جاريتك الحلوة الصغيرة ، الفتاة العمياء ؟ لم أعد أراها منذ فترة طويلة ٠

– انها لاتصلح لك أو لنا ٠ لقد أرســـلناها الى البلدة لبيع الزهور والغناء لسيدات المجتمع ٠ انهـــا تأتى لنــــا بنقود وفيرة ، وهذا أفضل من أن تخدمنا وتخدمك ٠

– كيف حصـــلت على جـــارية بهذه الطيبة وهذا اللطف ؟

– هـــل تذكر جاريتى ســـتافيلا ، تلـــك العجوز القبيحة الضخمة ؟ حسن ، عندما ماتت ، أردت أن أشترى جارية أخرى ، فجاءنى تاجر ، وقال لى : « ها



المصارعون ·· وصراع حتى الموت !

هى فرصة لك لشراء جارية مقابل مبلغ ضئيل من المال ٠ انها مجرد طفلة ، ولكنها سريعة وهادئة وعذبة الغناء ، ورأيت الفتاة ، فاشــتريتها ، ولكنى عندما وصــلت للبيت ، وجدت انها عمياء ٠ ولم أسـتطع العثور على التاجر مرة أخرى ، فلقد غادر المدينة ٠

ودخلت زوجة بوربو بالطعام وأكل المصارعون ٠ وغادر بوربو الغرفة فى هدوء ٠

سوف نتبع بوربو ، حيث اتجه الى حجرة داخلية ، لها باب خلفى يفتح على شارع جانبى ، وكان كالينوس هناك (كالينوس هو الكاهن القبيح الذى رأيناه فى معبد ايزيس ٠ انه أخ لبوربو) ٠

جلس بوربو أمام منضدة ، وبدأ كالينوس يصب نقودا من كيس ، وأخذ بوربو يحصيها ٠٠

وقال كالينوس :

ــ كما ترى ٠٠ ارباسيز يجزل لك العطاء ٠ يجب ان تشكرنى لاخبارى له عن جاريتك نيديا ٠

فقال بوربو وهو يضع النقود فى حقيبة كبيرة :

ـ فعلا ، فعلا اشكرك ! ان نيديا الصغيرة هى بمثابة حديقة من ذهب بالنسبة لى . انها تغنى وتعزف جيدا ، وارباسيز يدفع دائما ويجزل فى الدفع ، ولكنى لا اعرف شيئا عن الولائم ، ومآدب الطعام والخمر والموسيقى والرقص وغيرها من الأمور التى تجرى فى منزل ارباسيز . انها تخشى الذهاب الى هناك ، وتبدو خائفة ، وتقول ان تلك الأمور سرية .

فقال كالينوس :

ـ وانا ايضا قد وعدت أن أحتفظ بالسر . فأنا اذهب الى تلك الولائم ولكنى لا أستمتع بها أبدا . اننى اكثر سعادة عندما أشرب هنا ، والتقى بالفتيات الفقيرات الساذجات اللاتى يحضرن الى هذا المكان .

فقال بوربو :

ـ غدا ، سيكون لدينا وليمة حقيقية هنا .

وسمع خبط على الباب ، فأخفى كالينوس وجهه .

فقال بوربو بعدما فتحت نيديا الباب ودخلت الغرفة :

– انها مجرد الفتاة العمياء .

وتطلع نحو نيديا وقال :

– يافتاة ! انك متأخرة ، ويبدو عليك التعب !

فقالت الفتاة :

– سيدى ، لك أن تضربنى ، ولك أن تقتلنـــى ان شئت ، ولكنى لن أذهب الى منزل ارباسيز ثانية !

– ستفعلين ماتؤمرين به .

– لن أفعل ! لن أذهب !

– اذن فسوف أحملك الى هناك .

– سوف انادى على الناس فى الشارع لينقذونى

– سوف أكمم فمك فلا تستطيعى الصراخ .

وعندئذ تكلم كالينوس قائلا :

– نيديا ! تذكرى وعدك ، وعدك باسم الآلهة انك

لن تقولى شيئا عن أسرار ارباسيز ٠

وسمعوا جلبة حضرت بعدها ستراتونيس زوجة بوربو الى الحجرة ، فالقت نيديا بنفسها عند قدميها ، وقالت :

ــ انك امرأة ولك أخوات ، وكنت صغيرة مثلى ٠ انقذينى ! سوف لا أذهب الى تلك الحفلات مرة أخرى !

فقالت ستراتونيس :

ــ لا تكونى غبية ٠

وأوقفت نيديا على قدميها واردفت قائلة :

ــ انك جارية ٠٠ والجارية يجب أن تفعل ماتؤمر به ٠

ــ ارجوك لن أذهب ! واذا اجبرت على الذهاب ، فسأذهب الى القاضى وأخبره بكل شىء ٠

فأمسكت ستراتونيس نيديا من شعرها وضربتها بالحبل ودوت صرخات الفتاة فى أرجاء المنزل !

الفصــل التاسع

جلوكاس يشترى نيديا

قال كلوديوس :

ـ تعال ياجلوكاس ٠ دعنا نذهب الى منزل بوربو لنرى المصارعين الذين لديه هنــاك ، حتى يمكننا أن نعرف أين نضع نقودنا ورهاننا عند قتالهم ٠ ودخلا ٠٠

وتطلع كلوديوس نحو رجــل أسمر ضــــخم كان جالسا يشرب هناك ، **وقال له :**

ـ ها ! بالبوس ٠ من ستقاتل ؟

ـ سأقاتل سبوروس ٠٠ سنتقاتل حتى الموت !

– بالبوس ضد ســـبورروس · اعتقد أن بالبوس سيفوز · أراهن على بالبوس عشرة الى واحد ·

فقال جلوكاس :

– أين بوربو ؟ يجب أن أرى بوربو قبل أن أقرر · أنه يخبرنى من سيكون الفائز ·

فسأل كلوريوس :

– وأين ستراتونيس ·

فأجاب بالبوس :

– كلهم فى الغرفة الداخلية ·

وصدرت صرخة ألم :

– اوه ، انقذونـــى ! ســـامحونى ! اننى مازلت طفلة ! اننى عمياء ! عاجزة ! لا تضربونى !

فصرخ جلوكاس :

– انى أعرف هذا الصوت ! انها الفتاة التى تعمل

فى حديقتى ، بائعة الزهور المسكينة !

اقتحـــم جلوكاس الباب ورأى نيديا تمسك بهـــا ستراتونيس ويقوم أحد العبيد بجلدها بحبل غليظ ، وأصبح الحبل ملونا بدمها الأحمر القانى ٠

فقبض جلوكاس على ذراع ستراتونيس وفك أسر نيديا ، وهو يصرخ قائلا :

ـ كيف تجرؤين على القيام بذلك ؟ كيف تجرؤين أن تعاملى طفلة ٠٠٠ فتاة مثل هذه ! ٠٠٠ فتاة عمياء ! نيديا ، ياطفلتى المسكينة !

فصرخت نيديا :

ـ أوه ، هل هذا أنت ؟ ٠٠٠ هل هذا جلوكاس ؟

والقت بنفسها بين ذراعيه ٠ فصاحت ستراتونيس :

ـ اعطنى جاريتى !

فقال كلوديوس :

ـ اعتقد انه كان هنا رجـــل آخر ٠٠ ولكنه قد ذهب ٠

كان كالينوس قد استخدم ذكاءه ، وغادر الحجرة بسرعة ٠

جلس جلوكاس ، وأخذ نيديا فوق ركبتيه ، وأخذ يقبل الدموع المنهمرة على وجهها وهو يقول :

– كفى ! كفى ! لاتبكى ياعزيزتى نيديا ٠ انـك فى أمان معى ٠٠ فى أمان معى ياعزيزتى نيديا ٠

لقد تحرك حتى قلب ستراتونيس القاسى عندمـا شاهدت هذا الشاب اليافع ، الجميل ، القوى ، الذى لديه كل مايمكن للعالم أن يعطيه ، مع هذه الطفلة التى لاتملك شروى نقير فى العالم كله ٠

وتطلع جلوكاس نحو بوربو وقال :

– هذه هى جاريتك ٠ انها تغنى كالينبوع وتعرف كيف تعتنى بالزهور ٠ هل تبيعها لى ؟

ورفعت نيديا وجهها اليه ، كان مفعما بالأمـــل فقالت ستراتونيس :

– ابيع نيديا ! مستحيل !

ووضعت نديا ذراعيها حول رقبة جلوكاس والتصقت به ، فقال جلوكاس :

ــ ستفعلين كما أقول · انني صديق حميم لبانزا المحتسب · واذا قلت له كلمة واحدة ، فسيغلق خمارتكم هذه ، ويقول : « جلوكاس ، الجارية جاريتك ! » ·

فقال بوربو :

ــ الفتاة تنفعني كثيرا · انها تاتيني بكثير من النقود ، ثم انني دفعت فيها ست قطع ذهبية ·

ــ اطلب ماتشاء ، فأنا ثرى ·

ــ لقد دفعت فيها ست قطع ، فهى تستحق اثنتى عشرة قطعة الآن ·

ــ سأعطيك عشرين ·

ــ عشرون!حسن،سآخذ عشرين لأرضى كلوديوس خصوصا اذا تكلم كلوديوس مع المحتسب من أجلى ليجعلنى حاجبا فى السيرك ، لكى اعلن بصوتى أسماء المصارعين ·

فقال كلوديوس :

– سأفعل ذلك ٠

فصرخت نيديا قائلة :

– اذن سأذهب معك ٠٠ معك ! أوه ،ياللسعادة !

– نعم ، أيتها الجميلة ، وكل ماستفعلينه هو أن تغنى أغانى يونانية لاجمل فتاة فى بومبى ٠

فتغير لون وجه نيديا الذى كان فى غاية السعادة من قبل **وقالت :**

– كنت آمل أن أذهب الى منزلك ٠

فقال جلوكاس :

– سوف تذهبين حاليا لفترة ٠ تعالى ٠٠

الفصل العاشر

اربا‌سيز وأيون

عندما تركها ارباسيز ، دخلت ايون الى غرفة داخلية بالمنزل بعيدا عن خدمها ، ولم تسمح لأحد أن يدخل · وكان جلوكاس من بين هؤلاء الذين لم تسمح لهم بالدخول ، فتعجب لذلك ، ولم يفهم السبب ··· اضطربت افكاره ، ولكنه لم يفقد الامل ابدا ، لأنه يعرف انه يحبها وانها تحبه ·

وفى الليل ، عندما لم يبق غير القمر مطلا على حبه ، ذهب الى منزلها والقى الزهور على بابها ·· ووقف تحتنافذتها وأخذ يغنى الأغنيات التى تحبها · ولم يدرى اذا كانت نائمة أم كانت تسمعه ·

لم تكن ايون نائمة ، وسمعته ٠٠ واثناء سماعها لم تفكر فى أى شىء ضد جلوكاس ، ولكن عندما انتهت الاغنية ، وذهب ، عادت كل ظنونها ومخاوفها ٠

لم تسمح ايون لأحد بالدخول ٠٠ وكان منزلهـــا محرما وليس لأحد الحق فى دخوله ســـوى أرباسيز كوصى عليها ٠ وفى اليوم الرابع بعد ذلك اللقاء الأخير جلس ارباسيز وايون سويا ، **وقال أرباسيز :**

ـ لا تنظرى بلا مبالاة لأصدقائك ، فهذا ليس من الانصاف ٠ ارفعى بصرك الى !

كانت عينا ايون بلون الدم من البكاء ، **فقالت :**

ـ ارباسيز ينظر فقط الى العقل ، ولايهمه ان كانت الوجوه مخفية ٠

فأجاب قائلا :

ـ فعلا ، انظر فقط للعقل ٠ ارينى وجهك لاننـــى أرى عقلك فيه ٠

وتوقف وتطلع اليها ، **ثم استطرد قائلا :**

– يوجد حب ياايون الجميلة ، ليس بحب قليلى الخبرة والطائشين ، الذى يرى حبهم فقط بالعيون ٠٠ لكن يوجد حب آخر ، وهو حب الروح ٠ انه يسأل عن الصبا ، فقط من أجل انعاش القلب ٠ انه يسأل عن الجمال ، ولكن جمال الفكر والروح ٠ هذا هو الحب ، ياايون ، الذى اقدمـــه لك ٠ وهذا هو الحـــب الذى تستطعين الحصول عليه منى !

فاجابت ايون قائلة :

– واسمه الصداقة ٠

فصرخ ارباسيز قائلا :

– صـــداقة ! صداقة ! لا ، هذه ليســـت الكلمة الصـــحيحة لمثل هذا الشـــعور ٠ جلوكاس وكلوديوس اصدقاء ، انهما يستمتعان بنفس الامور الحمقاء ٠ ان ما يشعر به ارباسيز نحو أيون أكثر من ذلك ٠ لاتعطيه اسما ، ان الأرض ليست لديها اسم له ٠

ولم تعرف ايون كيف تجيب ، وشعرت بالخوف ،

ولم تدرى لمـــاذا ! ·· وأخفت وجهها حتى لايـــرى ما تشعر به ، **وقالت أخيرا :**

ـ صداقة ارباسيز ، بطبيعة الحال ، تختلف عن صداقة الآخرين ··

وكان لابد أن توقفه عن التحدث بهذه الطريقة ، لابد أن تجعله يتكلم عن شىء آخر ، **فقالت :**

ـ قل لى يا ارباسيز ، هل رأيت أخى مؤخرا ؟ انه لم يقم بزيارتى لعدة أيام · أخشى ان يكون قـد تسرع فى قراره بأن يكون كاهنا لايزيس ، ويشعر الآن بخطئه ·

فقال ارباسيز :

ـ هذا صحيح ، لانه كان مضطربا لمدة ، ولكنـه جاء لى ، وأزلت له كل شكوكه ·

وتحدثا عن امور أخرى ، وبعدها قال ارباسيز :

ـ انك لم ترى بيتى من الداخل · أتعشم أن تشرفيه ذات مساء ·

ولم تعرف ايون الخطر الذى ينتظرها هناك · وتم تحديد مساء الغد لزيارتها له فى منزله ·

الفصل الحادى عشر

ارسال نيديا الى أيون

كانت الشمس تشرق بأشعتها الذهبية فوق الحديقة الصغيرة الفواحة بالرائحة الذكية فى منزل جلوكاس · وكان جلوكاس مستلقيا على الحشائش الخضـــراء ،

وفكر :

ـ لماذا ·· لماذا لاتسمح لى بالدخول لمنزلها ؟ لقد مرت ايام دون أن أسمع صوتها ·· أوه ، ايون ، هل يمكنك أن تتخيلى كم أحبك !

وجاءت نيديا عبر المنزل وخرجت الى الحديقة ، وهى تحمل اناء به ماء ، وروت الزهور ، وتلمستها

بلطف باحثـــة عن الاوراق الميتـــة ونزعتها ، فقـــال جلوكاس :

– نيديا ياطفلتى !

وعند سماع صوته توقفت وارهفت السمع مع رفع وجهها عاليا لتعرف من أين أتى صوته ، فقال ثانية :

– نيديا ٠٠ هنا ٠٠ انا هنا بجانبك ٠٠

فوضعت اناء الماء جانبا وذهبت اليه بسرعة ، فقال جلوكاس وهو يضع يده على شعرها الطويل الجميل :

– لقد مضى عليك فى بيتى ثلاثة أيام ٠ ترى هل كانت أياما سعيدة ؟

– اوه ، نعم ٠٠٠ نعم ! سعيدة جدا !

– والآن حيث تحسنت صحتك وأصبحت افضل ، سأطلب منك أن تقومى بخدمة لى ٠ هل سمعت باسم ايون ؟

وتحول لـــون وجه نيديا الى بياض أحد وجـوه

التماثيل الرخامية التى فى الحديقة · وقالت وهى فى شبه غيبوبة :

ـ نعم ، لقد ··· لقد سمعت انها جميلة ·

ـ نيديا ، أنا أحب أيون ·

فقالت نيديا بهدوء :

ـ هذا ما اعتقدته ·

فقال جلوكاس :

ـ ولكنى لم أرها منذ أيام ، حيث لم يسمح لـى بالدخول الى منزلها ، وفى ذلك أمر غريب ، لا أفهمه · اريدك أن تأخذى هذه الرسالة اليهـا ، واريد منك أن تعرفى سبب هذا الجفاء ·

ولم تعط نيديا أى اجابة ··

ـ واريد منك أن تبقى معها ··· وتخدميها ·· تكلمى معها وحديثها عنى ، عندما تستطيعين ·· انها عطوفة جدا ولطيفة جدا ، وستكون كأخت لك · هل

ستقومين بذلك من اجلى ؟ لماذا تبكين ؟ لماذا انت حزينة هكذا ؟ اريدك أن تكونى سعيدة ٠

– جلوكاس ، انا جاريتك ٠ ومالى أنا بالحزن أو الفرح ؟

ولمست يده ، ثم قبلتهـــا واتجهت نحو باب المنزل وهى تقول :

– لقد عرفت ثلاثة أيام من الســـعادة ٠ ثلاثــة أيام ٠٠ ماذا يجثم أمامى سوى الموت ٠٠ ؟!

الفصل الثانى عشر

نيديا تحضر الرد

قاد احد العبيد نيديا الى غـرفة ايون ، فوقفت تتصنت ، ثم قالت :

ـ هل يمكن لايون أن تتكلم حتى أعرف أين هى لأعطيها هذه الزهور ؟

ـ ياطفلتى العزيزة : يمكن لأحد من خدمى أن يحضرها لى ٠٠

ـ يجب أن أعطيها لك بيدى ، ومعى رسالة أيضا ٠

فأخرجت ايون عبدها ، ثم قرأت الرسالة :

« هل ايون مريضة ؟ يقول العبد لى أنها ليست مريضة . لم يسمح لى بأن أراك وذلك لمدة خمسة أيام هل قلت عن حبى أكثر من اللازم ؟ أم هل تكلم أحدهم ضدى ؟ اتوسل اليك : دعينى اراك !

... ارسل هذا الخطاب مع نيديا . ارجو أن تستقبليها فهى ، مثلنا ، غريبة ، كما انها عمياء وجارية مسكينة نيديا ! اود أن أجد طريقة ما لأجعلها أكثر سعادة ، عما كانت عليه فى الماضى . هل يمكننى أن أطلب منك أن تبقيها معك ؟

... كلمة واحدة أخرى . هل لى أن أسألك لماذا تفكرين كثيرا فى ذلك المصرى ، ارباسيز ؟ انه لايبدو لى بالرجل الذى يمكنك أن تضعى ثقتك فيه . هل يمكن أن يكون قد قال شيئا ضدى ؟ لقد جاء عندما كنت معك ، ورأيت كيف كان حانقا لعثوره على هناك ، ومنذ ذلك الوقت ، لم تسمحى لى برؤياك ... لاتصدقى أى شىء يقوله ارباسيز عنى ، أو اخبرينى ماذا يقول . وسيكون هذا هو الانصاف والصواب .

... ان هذه الرسالة تلامس يدك ، وهذه الكلمات تقع تحت عينيك . هل لى أن افعل الشىء نفســـه ، يا أعز الناس ؟ ! »

وامتلأت عينا ايون بالدموع ، وقبلت الرسالة .

وسالتها نيديا :

ـ هل ستردين على الرسالة ؟

وكتبت ايون الرد ، واعطته لنيديا ، **فقالت نيديا :**

ـ هـل سيشـــكر جلـــوكاس من يحمل ردك ؟ اذا كان ردا باردا فدعــى أحـــدا من عبيدك يأخـذه له ، اما اذا كان ردا سوف يجعله سعيدا ، فدعينــى آخذه ، وسأعود هذا المساء .

ـ لماذا تودين أن تأخذى الرسالة بنفسك يانيديا ؟

ـ آه ! انه رد عطوف . ومن يستطيع أن يكون غير عطوف نحو جلوكاس ؟ !

فقال ايون :

— ياطفلتى ، انك تتحدثين بحـرارة · هل تحبين جلوكاس لهذه الدرجة ؟

— لقد كان بالنسبة لى رحيما ·· لقد انقذنى من الذل والعذاب ··

فقبلتها ايون ، وقالت :

— اذهبى يانيديا ، خذى له هذه الرسالة ، وعودى ثانية · ستجدين حجرتك بجوار حجرتى ··· نيديا ·· ليس لى أخت ، فهل لك أن تكونى أختا لى ؟

وعندما تركتها نيديا ، جلست ايون طويلا فى حلم من السعادة ·

ثم جاء خادم ليخبرها أن الوقت قد حان لزيارتها لأرباسيز ··

أيون تذهب الى ارباسيز

اخبرت نيديا جلوكاس بكل شيء قالته لها ايون ، ثم عادت الى منزل ايون ، **وعندما وصلت سألت :**

ـ أين ذهبت ايون ؟ انها ليست فى حجرتها !

ـ لقد ذهبت الى منزل ارباسيز ٠

فصرخت مرددة :

ـ **الى منزل ارباسيز ! هذا مستحيل !**

فقام الخادم :

ـ بل صحيح ، فهى تعرفه منذ وقت طويل ٠٠

فقالت لنفسها :

– تعرفه منذ وقت طويل ! ٠٠٠ ومع ذلك جلوكاس يحبها !

ثم اردفت مستفسرة :

– هل كانت تزوره عادة من قبل ؟

فقال الخادم :

– لم يحدث مطلقا غير الآن ٠ واذا كان ما أسمعه عن ارباسيز فى شوارع بومبى صـــحيحا ، فان من الأفضل عدم ذهابها هذه المرة ، ولكنها لاتسمع مايقال فى الشوارع ٠

فقالت نيديا :

– لم يحدث مطلقا غير الآن ! هل أنت متأكد ؟

– متأكد تماما ٠

القت نيديا الزهور التى بعث بها جلوكاس ٠ ونادت

العبد الذى قد جـــاء معها واسرعت عائدة الى منزل جلوكاس ، وهى تقول :

ــ انها لا تعلم بالخطر الذى ذهبت اليه · لكنى بغبائى لست أهلا لانقاذها ، لانى احب جلوكاس اكثر مما أحب نفسى ·

وعندما وصلت المنزل قيل لها أن جلوكاس قد خرج مع بعض الأصدقاء ولن يعود الا فى ساعة متأخرة من الليل · فصرخت نيديا قائلة :

ــ يجب الا نضيع الوقت ! يجب ان نسرع · هل لايون أى صديق حميم أو أى قريب فى بومبى ؟

فقال العبد :

ــ نعم ، طبعا · الكل فى بومبى يعرف أن ايون لها أخ · لقد أصبح كاهنا لايزيس ·

ــ كاهن لايزيس ! كاهن لايزيس ! ما اسمه ؟

ــ ابيسيديز ·

ــ فهمت الآن ! اخ وأخت ! لقد استحوز ارباسيز

على الاثنين تحت سلطانه · والأخ لابد أن يعرف الخطر الذى يحيط بأخته · سأذهب اليه ··

الى هنا وكان العبد يقودها ، لكن الآن فهى تعرف طريقها · انهـــا تعرف كل شارع فى وسط المدينة · ياللفتاة المسكينة ، انها لم تحلم بذلك ، فقبل أن تمر ايام كثيرة ، اصبح عجزها بفقدان بصرها أكثر نفعا لها وأكثر امانا عن البصر · ولذلك فالعبد هو الذى تبعها ·

ووصلت نيديا الى المعبد ، فقال العبد :

– لايوجد أحد هنا ، فالكهان لايعيشون فى المعبد ·
فقالت نيديا :

– ناد بصـــوت عال ! فلابد أن يوجد كاهـــن للحراسة ·

فنادى العبد ، ولم يأت أحد ·

– الا تستطيع أن ترى أحدا ؟

– لا أحد ·

ـ يوجد شخص ما هناك · انى أسمع صوتا · أنظر مرة أخرى ·

ـ نعم ··· ارى شخصا ما يرتدى ملابس بيضاء · جالسا هناك ، فى الركن البعيد · انه كاهن !

ـ اوه ، ياكاهن ايزيس ! هل تسمعنى ؟

ـ من ينادى على ؟

ـ آه ! اعرف صوتك ! هل انت ابيسيديز ؟

ـ نعم أنا ·

وخطا نحوهما ، **فقالت له نيديا :**

ـ ان لديك أختا ، وتعرف انت تلك الولائم التى تجرى فى منزل ارباسيز · ربما تكون قد ذهبت اليهــا ذات مرة هل تريد اختك تذهب الى واحدة منها ؟ هل تريد من اختك أن تقابل ارباسيز فى منزله ؟

ـ انــــه لايجرؤ أن يطلب منها ذلك · هذا غير صحيح !

– بل صحيح · ايون فى منزل ارباسيز · لقـــد أخبرتك بالخطر المحيط بها · والآن سأذهب ·

– ابق ! ابق ! اذا كان هذا صحيحا ، فماذا يمكن عمله لانقاذها ؟ انهم لن يسمحوا لى بالدخول ، كما أنى لاأعرف طريقى للدخول لكل غرف هذا المنزل الكبير ·

– سوف أصرف هذا العبد ، وأنا أعرف الطريق . سوف ادلك على الطريق · احضر سكينا معك !

– انتظرى ! سأعود اليك فورا !

وعاد مرتديا معطفا طويلا يغطى ردائه ككاهن ، وقال :

– والآن ! اذا كان ارباسيز قد تجاسر ·· ولكنه لايمكن ان يتجاسر على ذلك ··

الفصل الرابع عشر

فى منزل أرباسيز

دخلت ايون القاعة الكبيرة الرئيســـية فى منزل ارباسيز ، حيث تنتصب تماثيل الآلهة المصرية فى كل مكان ، ووجوهها الباردة الغريبة ملأت قلبها بالخوف ٠

وأدخلها عبد طويل ٠٠ وفى وسط القاعة جـــاء ارباســـيز لمقابلتها ٠ كانت سترته الزرقاء الفاخـــرة مزدانة بالجواهر ٠ وكانت القاعة مضاءة بالمصابيـح بالرغم من وضح النهار ٠ وكانت الستائر المسدلة فوق النوافذ تحجز ضوء النهار ، وقال وهو يلمس يدها :

ـ ايون الجميلة ، لقد أضاءت عيناك القاعة ٠

فقالت ايون بهدوء :

– يجب الا تكلمنى بهذا الشكل · لقد علمتنى ألا اتكلم بدون أن أعى ما أقوله ·

هذا الرد البسيط الهادىء جعل ارباسيز يود أن يقول المزيد من المديح فى اطراء جمالها ، لكنه توخى الحذر ·· وضحك وهو يقودها عبر عدة غرف ، كلها مملوءة بالتحف الفنية المدهشة والصور والتماثيل ، كمـــا كانت توجد صـــناديق وعلب مملوءة بالذهـب والجواهر بجانب الجدران ·· فكانا أحيانا بمفردهما فى الغرف ، وأحيانا أخرى يمرون عبر صـــفوف من العبيد الصامتين الذين يخرون على ركبهم ساجدين عند مرورهـــا ومتقدمين لها بالذهـــب والجواهـر ، وقال ارباسيز :

– ارجوك أن تأخذى هذه الأشياء ، فهى ملكك ··

ولكنها لم تفعل ، وقالت :

– لقد سمعت دائما انك ثرى ، ولكنى لم أحلم أبدا بأنك بهذا الثراء ·

– لو اقدر أن اصنع من كل هذا تاجا لوضعته على راسك !

فضحكت ايون قائلة :

– سيكون ثقيلا جدا على ! وسيخسف بى الأرض !

– لاتقللى من شـــأن الثراء يا ايون ٠٠ فالذهب ساحر عظيم : يمكنه أن يجعل احلامنا حقيقية ٠٠ انه يهب السلطة ٠٠ انه اعظم من كل العبيد ٠

اراد ارباسيز أن يشحن ايون بالرغبة فى امتلاك كل ما شاهدته هنا ، لكن ايون لم تسعد بكل هذا الحديث الحلو ، وهبات الجواهر هذه ، بل كانت كريهة بالنسبة لها ، فعكرت صفوها وجعلتها تشعر بالخوف ٠

ووصلا الى قاعة جدرانها مغطاة بستائر باللون الفضى والأبيض ٠٠ ورفع ارباسيز يده فانشقت الارض وخرجت منها منضدة مع مقعد ذهبى مغطـــى بقماش أحمر فاخر ٠٠ وانبعثت موسيقى عذبة من كل مكان ٠

وعند انتهاء المادبة خفت صوت الموسيقى وتكلـــم ارباسيز قائلا :

ـ هل تمنيت ياأيون أن تنظرى من خلفك فى هذا العالم المعتم المتقلب لتشاهدى تلك الأمور التى سوف تحدث لك مع مرور الوقت ؟ لقد استطعت ، بحكمتنا ، النظر فى الماضى وقراءته ، وتعلمت اسرار الموتى ، ولقد تمكنت أيضا من قراءة المستقبل · لقد تعلمت رؤية حياة الأحياء ومعرفة ما سيكونون عليه ·

فقالت ايون :

ـ لقد تعلمت أن ترى حياتنا كما تعتقد أنت كيف ستكون ·

ـ سوف ترين ياأيون ، ماقد تعلمته وعرفته عن حياتك فى المستقبل · سوف ترينها وهى تمثل أمـــام عينيك ·

وسرح فكر ايون فى جلــوكاس وامتلأت رعبا · كانت مابين مصــدق ومكذب لكلمات ارباسيز ،فكانت خائفة مما سوف يعرضه ارباسيز امام عينيها ·· فظلت صامتة ، ثم قالت بصوت مرتعش :

ـ ربما سيجعلنى ذلك احس بسعادة اقل مما أنا فيه فى الوقت الحاضر ٠

ـ ليس لذلك ياايون ٠ لقد نظرت ، ولم أر غير السعادة والحب ٠ هل تأتى معى لترى ؟

فسرحت بفكرها وقالت لنفسها :

ـ جلوكاس ! هل سانعم بالسعادة والحب معك ؟ واذا لم يكن معك ، فكيف يمكن أن تكون السعادة ؟

اخذ ارباسيز بيدها وقادها عبر القاعة٠كانت الستائر مسحوبة جانبا عند نهاية القاعة ، ونزلا درجات سلم عريض متجهين الى الحديقة ٠٠ وكان الوقت مساء ، والقمر عاليا فى السـماء ، والهواء يهفهف برائحة الزهور الذكية ، والتمـاثيل متناثرة على الجانبين ، والسلال المملوءة بزهور ملقاة عند اقدامهـا وعلى طول الممرات المؤدية اليها ، فسألت ايون :

— الى اين نحن ذاهبان ؟ الى أين تقودنى ؟

فأجاب وهو يشير الى مبنى صغير فى نهاية طريقهما :

— هناك · اننى آخذ بيدك الى ذلك المعبد : معبد الهة الزمن ·· فالزمن بالنسبة لها لاشىء ·· الماضى والمستقبل هما نفس الشىء !

معبد آلهـــة الزمن

مر ارباسيز مع ايون داخل دهليز ضيق ، فى نهايته توجد ستارة سميكة ، فقام ابراسيز برفعها ٠٠ ودخلت أيون فوجدت نفسها فى ظلام دامس ، فقال ارباسيز :

ـ لاتخافى !

وانتشر من حولهما ضوء دافىء مريح يدغـــرغ الأوصال ٠ وعندما ازداد الضوء قوة رأت ايون ستائر سوداء معلقة على الجدران ورأت المقاعد مكسية بقماش أسود ٠ وفى منتصف الحجرة نار مشتعلة فوق مذبح حجرى ٠٠ وفى أحد الجوانب كانت هناك رأس عظيمة

للالهة المصرية ، منحوتة من الحجر الأسود وموضوعة فوق نصب حجرى طويل ٠

وقف ارباسيز أمام المذبح ٠٠ ووضع مسحوقا ما فى النار فعبق جو الحجرة برائحة غريبة ٠٠ فهيمن على ايون ضرب من النوم ، وشعرت وكأن كل ماحولها حلم من الاحلام ٠٠ واطبقت عينيها ٠

ثم سمعت ارباسيز يتكلم ، وكأن صوته يأتى من مكان بعيد :

– افتحى عينيك ، وانظرى !

وتحركت ستائر فى نهاية المعبد جانبا ٠ ورأت فى حلمها قاعة عظيمة ٠٠ مثل قاعة فى قصر ملك من الملوك ٠٠ وفى منتصفها كرسى ذهبى ٠٠٠ مثل مقعد ملكة من الملكات ويصطف العبيد والجنود على الجانبين ويد تمسك بتاج من فوق الكرسى ٠٠٠

وترى ايون نفسها واقفة هناك ٠٠

ويدخل رجل ٠٠ وجهه مخفى ٠٠ ويركع عند قدمى

ايون ·· وياخذ يدها ، ويشير الى المقعد الذهبى وكأنه يطلب منها أن تجلس عليه ·

وتسمع صوتا بجانبها يقول :

ـ هل يسفر عن وجهه ؟

وكان هذا هو صوت ارباسيز ···

وذهب الحلم · وما بقى بجانبها الا ارباسيز نفسه بشحمه ولحمه ·· ارباسيز الحى الحقيقى الذى صرح قائلا :

ـ هذا ·· هذا هو مستقبلك ··· أن تكونى زوجة

لارباسيز ، ملكته الثرية القوية ·

كانت عيناه مثل النار ، وهو يقول :

ـ استمعى الى · انى أحبك · والآلهة ليست خاطئة : ستكونين ملكى بالفعل · لاتبتعدى ·· لا ·· لاتذهبى بعيدا عنى ياايون ! لاتخافى · انت مليكتى الهتى · سوف تنالين كل ما تطلبينه ··· المال والجاه والسلطان ··· كل شىء · ايون ! انظرى الى لاتخفى

وجهك عنى · انت شمسى ، فلتشرقى فوقى ، ايون ·· أيون ·· حبى كنه ملك يديك ؟

كانت ايون وحيدة ، وتحت سيطرة هذا الرجـــل الغريب الفظيع ، ولكنها لم تكن خائفة ، لقد تكلم فى صوت خافـــت · كانت تشعر بالأمان ، ولكنها كانت مندهشة جـــدا ولم تعرف كيف ترد عليه ·· وأخيرا قالت له :

ـ انهض يا أرباسيز ·

فأمسك بيدها وقبلها وهو ينهض واقفا ، فأردفت قائلة :

ـ اسمع ، لقد كنت الوصى على وصـــديقا لى فى نفس الوقت ، ولكنى لم استعد نفسيا لهذا التغيير فيك · لقد تشرفت بكلماتك ، ولكن ··

وبدت عيناه المعتمتان تتاجج فيهما النيران ، وهو ينتظر ردها ، فقال :

ـ ولكن ··· ؟ ولكن ماذا ؟

فقالت ايون :

ــ ولكنى أحب شخصا آخر :

فصاح ارباسيز :

ــ بحق الآلهة ! هذا مستحيل ! من ذا الذى رأيته ؟ من ذا الذى عرفته ؟ هذا ليس صحيحا ! انك تقولين ذلك فقط لتكسبى الوقت · لقد فاجأتك · انك تقولين انك لاتحبيننى ومع ذلك فسوف تحبيننى ! نعم ، ستحبيننى مع الوقت · ولكن لاتقولى انك تحبين شخصا آخر !

وصرخ فيها بغضب وشعرت ايون بالخوف فاخذت تبكى ·

فجاء ارباسيز واقترب منها ·· ووضع ذراعيه من حولها ، ولكنها افلتت بعيدا عنه ·· واثناء ذلك سقطت رسالة من ثوبها على الارض ، فرآها ارباسيز وأمسك بها · انها الرسالة التى اســـتلمتها ذلك الصباح من جلوكاس ·

فقرأهـــا ، ولم تجرؤ ايون على التطلع اليه ·· وسقطت الرسالة أخيرا من يده ، **وقال :**

– كاتب هذه الرســـالة ··· هو الرجل الـذى تحبينه ؟ وبكت ايون ولكنها لم ترد ، **فصاح فيها :**

– **تكلمى !**

– نعم ، انه هو ·

– واسمه مكتوب هنا ··· اســـمه جلوكاس ؟

وتطلعت ايون للهرب أو لأية مساعدة ، وقال ارباسيز بصوت منخفض وهو يجز على أسنانه :

– اذن استمعى لى ، سوف تذهبين الى حتفك بدلا من أن تذهبى اليه · انك ملكى ! ملكى أنا !

وامسك ارباســـيز بايون وحضنها بين ذراعيه ، ولكنها تملصت منه وركضت نحو الباب ، فهجم عليها وأمسك بها ثانية ، وقاومته واستطاعت الهرب منه مرة أخرى ، وركضت بكل قوتها ، ولكنها سقطت قرب رأس الالهة المصرية الحجرى الأسود ·

فانقض عليها ارباسيز مرة أخرى ·· وفى هذه اللحظة ازيحت الستارة جانبا وشعر بيد قوية تمسك به

من الخلف ، فاستدار فرأى عينى جلوكاس الغاضبتين ووجه ابيسيديز الأبيض ٠

رفع ابيسيديز اخته من الارض واجلسها على احد المقاعد ، ووقف بجانبها والسـكين فى يده ، يراقب القتال بين جلوكاس وارباسيز ٠ كانت يد كل منهما تحاول الوصول الى رقبة الآخر ، فكلا هما كان قويا ، وكلاهما كان مفعما بالرغبة فى قتل الآخر ٠ وتحركت المعركة من جانب الى آخر داخل البهو ، الى ان أصبحا بالقرب من المذبح ، ثم بالقرب من رأس الالهة الاسـود فصرخ ارباسيز قائلا :

ــ اوه ايتها الالهة ساعدينى !

ثم صاح قائلا :

ــ مت !

وقفز فوق جلوكاس ٠٠ وسقط جلوكاس ووضع ارباسيز قدمه فوقه ٠٠ فركض ابيسيديز للامام رافعـا سكينه ليضربه به ، فأمسك ارباسيز بذراعه ، وقبض على السكين والقى بأبيسيديز على الأرض ٠

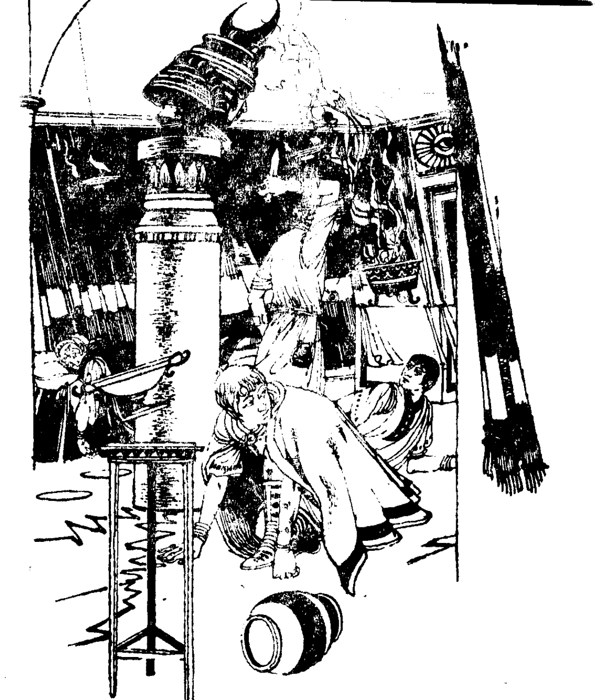
ثم رفع ارباسيز السكين · ورفع جلوكاس بصره الى أعلى فأيقن أن هذه هى النهاية لامحالة ·

أهتزت الارض من تحتهم ·· واصـدرت الأرض وهى تتحرك صوتا عميقا ·· وانخلعت الستائر من على الجدران ·· وسقط رأس الالهة الأسود ·· وعندما كان يهم ارباسيز بطعن السكين فى قلب جلوكاس ، ضرب الرأس الحجرى الالهة مؤخرة رأسه ، فانطرح أرضا ، كما لو كان قد مات · انه زلزال · ·!

ساعد جلوكاس ابيسيديز على الوقوف ·· وكان الدم يسيل من فم ارباسيز على سترته وعلى الأرض الحجرية ·

واهتزت الأرض مرة أخرى ، فأجبروا على الامساك ببعضهم البعض حتى لايسقطوا ·· وبعدها لم ينظروا طويلا ·

واخذ جلوكاس ايون بين ذراعيه وحملها وخرج بها الى الحديقة ومنعها الى الشارع ·· وفى الشارع التقوا بجماهير من الرجال والنساء والعبيد يهرعون



وسقط راس الالهة المصنوع من الحجر الأسود

من كل جانب ، تاركين منازلهم فى هلع طلبا للنجـــاة بأرواحهم · لقد حدث زلزال منذ ستة عشرة ســنة ، وعرفوا كيف كان · عرفوا كم من البشر قد قتل عندئذ ·

صرخ جلوكاس حاملا ايون ويلحقهما ابيسيديز ، ومروا عبر بوابة كانت مفتوحة · ومن داخلهـــا كان ضوء القمر يفرش خصلاته الفضية على نيديا ، الفتاة العمياء ·· الباكية وكأن قلبها سينفطر ·· !

الفصل السادس عشر

ابيســـــيديز والمســـيحيون

كان السوق الرومانى وهو ساحة عامة ، ويعتبر كمنتدى ومنبرا عاما للمناظرة والنقاش يقع فى الميدان الرئيسى فى بومبى ، وتتراص جميع المبانى والمعابد من حوله فى تناسق جميل • ويجلس الصرافون أمـام مناضدهم ويتجمهر التجار والبحارة من حولهم ••• ويقف الرجال يتحدثون عن اعمالهم ، وعن الزلزال ، وعن كل مايجرى فى المدينة وفى روما ••• ويمكنك أن ترى مبنى المحاكم والمتقاضين يدخلون اليه أو يخرجون منه •• والفقراء يقفون صفا صفا ، مع سلالهم للشراء أو الحصول على لحم النذور الذى يستخلصه الكهان من البهائم المقدمة للالهة على المذابح •

وأمام معبد جوبتر وقف رجل ٠٠ كان فى حوالى الخمسين من عمره ٠٠ كان رداؤه البنى عاديا وبسيطا جدا ، لايشبه الملابس زاهية الالوان التى يرتديها معظم الناس ٠٠ كما أنه ليس كغيره من الرجال فى السوق ، فهو لا يعلق كيس نقود على جانبه ٠٠ لاتوجد نقود ! ٠٠ هذا شيء غــــريب ٠ وكان يتطلع الى صـــف الناس الداخلين الى المعبد ٠

ولاحظه تاجر من التجار ، فسأل صديقه وهو تاجر مجوهرات وحلى :

– من هذا الرجل ذو الهيئة الغريبة ؟ لماذا يتطلع الينا بهذا الشكل ؟

فأجاب الصائغ :

– انــــه اولينثوس ، يقــولون أنه ناصــــرى ٠٠ مسيحى ٠

فقال التاجر :

– مسيحى ! هؤلاء المسيحيون اناس فظيعون ،

انهم فى منتهى السوء · يقال أنهم يتقابلون فى الليل ·· ويقتلون دائما رضيعا قبل بدء صلواتهم · وانهم لايحملون نقودا ، فليس لديهم مال خاص بهم ، فالكل يدفع لشخص واحد وهو الذى يتكفل بدفع كل احتياجاتهم · ها ! ماهو مصير التجار اذا لم يكن لدى الناس نقودا ؟ ·· وماهو مصير تجار المجوهرات والحلى بالذات ، ماذا سيفعلون ، حيث أنهم لايتزينون بأى مجوهرات ، ويقولون : « ليس لدينا ذهب ولافضه ·

- يقال أن المسيحيين احرقوا مدينة روما فى عصر نيرون(١) ·

لاحظ أولينثوس أنهما يتحدثان عنه وأن الناس يتطلعون اليه ، **فقال بصوت عال :**

- ايها الحمقى ·· ايها الأغبياء ·· يامن تسجدون لآلهة من حجر · ألم يبين لكم زلزال الليلة الماضية ماسوف يحدث من أمور ؟ ألم يخبركم أن

---

(١) امبراطور رومانى حكم فى أعوام ٥٤ - ٦٨ ميلادية ، وأحرق مدينة روما ·

تستعدوا لليوم الآخر عندما يتحطم العالم كله ؟ !

فتطلع اليه بعض من الناس بشيء من الخـوف ، وصاح آخرون بغضب :

– انه لا يؤمن بالآلهة ·

ورفعوا أياديهم ليضربوه ، ولكنه سار شاقا طريقه وسط الناس وهم خائفون أن يلمسونه ·

كان ابيسيديز يرتدى معطفا طويلا يغطى ملابسه التى تدل على أنه كاهن لايزيس ، فأسر فى نفسه وهو يتطلع الى أولينثوس قائلا :

– هل هو أيضا رجل مثل أرباسيز ؟ هل يتظاهر هو أيضا أنه يعيش حياة بسيطة يهبها لله ، ولكنه يعيش سرا فى كل ملذات الحياة المادية ؟

وربما شاهد اولينثوس مايدور فى خلد ابيسيديز ، فتوقف ونظر اليه ، وقال :

– السلام عليكم ·

– السلام ؟! ·· وكيف أجد السلام ؟ !

ـ ارفع بصرك الى السماء ، الى الله الواحد واتبع تعاليم المسيح وستجد السلام !

رأى ابيسيديز الناس وهـــم يتطلعون اليه والى اولينثوس ، فقال :

ـ اننا لا نستطيع الحديث هنا ٠٠ سوف اتبعك الى النهر ، فلن يكون هناك أحد الآن ٠

فهم اولينثوس ما يقصده ابيســـيديز وسار فى طريقه ، وكان يقوم بحركة صغيرة من يده على شكل صليب ، عندما يمر على أحد من أصدقائه ٠٠ ومعظم هؤلاء الأصدقاء يبدو عليهم من ملبســـهم انهم فقراء ومساكين ٠

لقد انتشـــرت المسيحية فى بدايتها بين الفقـــراء والمساكين ٠

تبع ابيسيديز اولينثوس حتى وصل النهر ٠ وعادة ما يزدحم هذا المكان بجوار النهر بالناس فى المساء ، ولكن الآن ، فى قيظ النهار ، فلا يوجد أحد ٠٠ فجلسا على مقعد تحت ظل شجرة ، وقال اولينثوس :

– لم تكن سعيدا منذ أن رأيتك آخر مرة ٠

– لقد كنت فى منتهى التعاسة ٠ لقد آمنت بارباسيز الذى قادنى لأصبح كاهنا لايزيس ٠ فى ذلك المساء عندما التقينا ، كنت سعيدا لانى ظننت أن ارباسيز سوف يحيطنى علما بالحقيقة التى تكمن وراء التمثال المتحدث ، وكل تلك الحماقات ٠٠ ولكنه لم يفعل ، ولا أعرف ان كان هناك اية آلهة ٠ هل تحكمنا الصدفة ؟ وهل هناك أى شىء بعد هذه الحياة الراهنة ؟ اخبرنى بماذا تؤمن ؟ !

فقال اولينثوس :

– تعال معى ٠ الى المكان التى نلتقى فيه نحن المسيحيون ٠ استمع الى تعاليمنا وصلواتنا ٠٠ واليوم هو يوم الشمس (أى يوم الأحد) ٠٠ اليوم الذى نلتقى فيه دائما ٠

واستدعى اولينثوس زورقا وعبرا به النهر ٠ وصعدا طريقا ضيقا مكتظا بالمنازل الصغيرة ، وجاءا الى منزل أكبر قليلا عن بقية المنازل ٠٠ وطرق اولينثوس الباب ثلاث مرات ، فانفتح ، ودخلا الى

حجرة كان يجلس بها حوالى اثنى عشر او اربعة عشر من الناس فى شكل حلقة ·

وركع اولينثوس ، وقال دعاء قصيرا ، ثم نهض واقفا ، **وقال :**

ــ ايها الأخوة ، لا تندهشون لرؤيتكم لكاهن من كهان ايزيس بينكم · ان روح الله قد دخلت قلبه ، ويرغب أن يرى ويسمع ويفهم ·

فقالت أصوات عديدة :

ــ دعه ينضم الينا ·

رأى من بينهم رجلا عجوزا ، يدعى ميدون ، الذى كان عبدا لرجل ثرى يدعى ديوميد ، **وقال اولينثوس :**

ــ لن نجعلك تعدنا بأن تصون سرنا · فلا يوجد قانون ضدنا ، ولكن النــــاس اسوأ من حكامهم ، وقد يقتلوننا ، ولكننا لانخاف الموت ·

ثم التفت اولينثوس الى ميدون ، **وقال :**

– تعال ياميدون ٠ انك العبد الوحيد بيننا وحيث انك لست حرا ، فافتح الكتاب واقرأ وعلمنا ٠

ولا حاجة هنا لسرد ما قرأه ميدون وقام بتعليمه ٠ ففى ذلك الوقت كانت هذه التعاليم غريبـــة وجديدة ، ولكن الآن ، بعد تسعة عشر قرنا من الزمان انتشرت التعاليم المسيحية وأصبحت معروفة جيدا ٠

وهناك أمر ما تحرك قلب ابيســـيديز له كثيرا ٠ عندما انتهى ميدون من القراءة وجلس ، فتح البـاب ودخل طفلان ٠٠ وكانا من ابناء صاحب المنزل ٠٠ ففتح لهما ميدون ذراعيه ، وأخبرهما فى كلمات بسيطة قصة محبة الله : « دع الأطفال الصغار يأتون الى » ، ثـم قبلهما ٠

ودخل رجل عجوز طاعن فى السن ، فوقف الجميع عندما شاهدوه ، وحياهم العجوز قائلا :

– الله معكم !

وركض الاطفال اليه ، وقال اوليثوس :

– الأب لازاروس ، لقد بعثت من القبر مرة أخرى

بقدرة الله سـبحانه ، انظر ، معنا غريب فى اجتماعنا هذا ·

فقال العجوز :

ـ دعنى اباركه !

ونزل ابيسيديز على ركبته ، وركع الطفلان واحد عن يساره والآخر عن يمينه ، ومسح العجوز بيده فوق رأسه ·

الفصل السابع عشر

نيديا تقــابل جوليا

كان الوقت مساء ، وكانت نيديا فى طريقهاالى بيت ايون ، عندما سمعت صوتا من خلفها يقول :

ـ الى أين تذهبين يافتــاة الزهور ؟ وليس معك سلة : هل بعت كل أزهارك ؟

وكانت المتحدثة هى جوليا ابنة ديوميد · لقد كانت فتاة جميلة ترتدى أحلى الثياب وأذوقها · وكان أبوها الثرى يسير معها ، واردفت جوليا قائلة :

ـ هل تذكرين صوتى ؟ أنا جوليا ابنة ديوميد !

– نعـم ، اذكر صـوتك ٠ لا ، ليس معى زهور للبيع ٠٠

– سمعت أن ذلك اليونانى ، جلوكاس قد اشتراك هل هذا صحيح ؟

فقالت نيديا :

– اننى أعمل عند ايون ٠

– آه ! اذن فالامر صحيح ٠ لذلك ٠٠٠

فقال ديوميد :

– تعالى ، تعالى فالجو بارد ولا أستطيع البقـاء هنـا وانت تتحدثين مع الفتاة العمياء ٠ دعيها تتبعنا للبيت اذا رغبت أن تتحدثى معها ٠

فقالت جوليا :

– تعالى ياطفلتى ، فلدى الكثير الـذى أريد أن اسالك عنه ٠٠ تعالى ٠٠

فأجابت نيديا :

ـ لا أستطيع الآن ، لابد أن أذهب الى أيون ، فأنا لست حرة ٠

ـ هل ستغضب منك ايون ؟ انها لطيفة جدا ٠٠ تعالى غدا ٠٠

ـ سأفعل ذلك ٠

وقال ديوميد لابنته :

ـ تعالى ! تعالى !

واضطرت جوليا أن تذهب دون أن تسأل السؤال الذى تتلهف على سؤاله ٠ كانت تريد أن تعرف ، « هل جلوكاس سيتزوج ايون ؟ »

كان باب منزل ديوميد مفتوحـــا ، وجلس ميدون العبد العجوز عند أسفل السلم ٠ وكانت تســـير فى الشارع فتاة حاملة جرة ماء ، فتوقفت عنده وقالت له :

ـ ان ابنك مصارع ، أليس كذلك ؟ لقد ســـمعت أنه سيقاتل الأسد ٠

فقال لها ميدون حانقا :

– فكرى فى الخطر المحيط بك ، قبل ان تتكلمى عن موت ابنى المسكين ٠

فقالت الفتاة :

– الخطر ! المحيط بى أنا ! أى خطر ؟

– لقد بين لك الزلزال ، منذ ليلتين الأمور التى سوف تحدث ٠ كان له صوت ، يقول : « اعدوا انفسكم للموت ، فهو قريب لقد أزفت نهاية كل شىء »

فقالت الفتاة :

– انك تتكلم كواحد من هؤلاء المسيحيين ٠ لعلك واحد منهـم انى أدعو الالهة أن يرسل لنا مسـيحيا ليقاتل الأسد ٠

وجلس ميدون حزينا وهو يفكر فى ولده :

– ولدى المسكين ٠ هل عليه أن يقتل ويموت ، ليرضى جماهير الحلبة ؟

وجاء شاب يافع الى البوابة ، ثم وقف أمام ميدون وقال متهللا :

ـ أبى !

فتحقق منه ميدون ، **ثم قال :**

ـ ولدى ! ليدون ولدى ! كنت أفكر فيك ، وأراك معى ٠

فقال ليدون :

ـ أتعشم أن أكون معك دائما ، وليس فى افكارك فحسب ٠ انى على يقين بأنى سأفوز بالقتال فى الحلبة وبهذا أحصل على مال يكفى لشراء حريتك ٠

فقال ميدون :

ـ لا ! لا ! هذا اثم ! فالذهب الذى ستحصل عليه سيكلف المصارع الآخر حياته ٠ لايجب أن تشترى حريتى مقابل الدم !

ـ انك تتكلم مثل هؤلاء المسـيحيين ٠ لا تكلمنى عما يؤمنون به ٠ لقد جعلتنى الآلهة قويا ، ولكنها لم تعطينى الفهم ٠ اسمع ! من تظننى سـأقاتل ؟ ٠٠ سأقاتل رجالا يشبهون البهائم ٠ لقد تعلموا أمرا واحدا

فقط ··· هو كيف يقتلون بعضهم البعض · حتى الهك سيعتبرنى محقا فى خطتى ·

– ماذا تقصد ؟

– عندمـــا كنت طفلا ، باعونى كعبد فى روما · واطلق سيدى سراحى ، فأســرعت الى بومبى لأراك · فوجدتك قد كبرت فىالسن ، ووجدتك عبدا عند رجل ثرى أحمق ، ولم يكن لدى مال لأطلق سراحك ، ولكنى شاب ، وشاب قوى ، وعلمت أن المال الذى يحصـــل عليه المصارع فى منازلة واحدة يمكن أن يحقق حريتك · وهكذا أصبحت مصارعا ·

– آه ·· لو أمكنك أن تستمع لاولينثوس !

– تعال ! امنحنى بركاتك ·

– حماك الله ياولدى الشجاع ، وادعو القوة التى تقرأ مافى القلوب أن ترى كم أنت طيب وخير وشجاع، لعلها تمحو ذنبك الذى قد تقترفه ·

وانصرف ليدون هابطا التل ، متجها الى المدينة·

وبفكرة السارح سمع ميدون صوتا حلوا كالعسل :

ـ هل يمكننى أن أدخل · هل سيدتى جوليا فى البيت ؟

فتنبه ميدون وقال :

ـ آه ! نيديا !

وقادها الى المنزل ونادى على واحدة من الجوارى

كانت جوليا تجلس فى غرفتها مع جواريها من حولها · وكانت الغرفة فى الطابق السفلى من المنزل ، ومطلة على الحديقة ، وتوجد على المنضدة التى أمامها مرآة صغيرة وقوارير عطور وادوات تجميل ومجوهرات ودبابيس ذهبية ·

كانت تجلس فى استرخاء ومصففة شعرها ترتب لها شعرها ، وتقف بجوارها جارية عجوز تعطى الأوامر للفتاة · التى تقوم بالعمل :

ـ ضعى هذا المشبك جهة اليمين قليلا ابعد ··· من ذلك ! ياغبية أبعد ! والآن ضعى الزهور !

فقالت جوليا غاضبة :

– بلطف ! انك تنزعين شعرى !

– والآن الشريط الذهبى ... نعم هنا ! والآن أنظرى ياحبيبتى جوليا وشاهدى كم أنت جميلة !

فقالت جوليا :

– اقرأى لى قصيدة حب !

ودخلت نيديا فى هذه اللحظة ، وقالت :

– لقد أتيت حسب أمرك لى .

فقالت جوليا :

– حسن ! اجلسى !

ثم طلبت من جواريها أن يخرجن .

– أعتقد أنك تخدمين ايون ؟ !

– نعم ، فى الوقت الحالى ..

– هل يزورها جلوكاس كثيرا ؟

ـ كل يوم !

ـ أوه ! هل يرى جمالها يفوق الوصف ؟

ـ نعـــم ، اعتقد ذلك ، حيث أنهما ســـيتزوجان قريبا ٠

فقالت جوليا :

ـ يتزوجان ! سيتزوجان ! قريبا !

ولم تلحظ نيديا الغضب الذى فى عينيها ، ولكن صوت جوليا أنبأها كم هى جرحت ٠

وتكلمت جوليا أخيرا :

ـ انك من ثيسالى ، وهذه البلدة مشهورة بالسحر هل تعرفين شيئا من ٠٠ من السحر الذى يجعل شخصا مايحب ؟ ٠٠ هل يمكنك أن تصفى دواء للحب ؟! ٠٠ سائل مثلا يمكن صبه فى خمر شخص ماسرا ؟

فقالت نيديا :

ـ أنا ! أنا ! وكيف لى بذلك ؟ لا ،

– سوف أعطيك مالا يكفى ان تشترى به حريتك ، اذا استطعت الحصول على ذلك .

فقالت نيديا :

– ولكن ، ولكنــــك تتمتعين بجمال وافر وثراء عريض مما يجعلك فى غير حاجة الى السحر .. فما ترفلين فيه من نعم فيه الكفاية .

فقالت جوليا :

– قد تعتبر هذه النعم كافية للجميع ماعدا شخصا واحدا فى هذا العالم .

ثم أضافت قائلة :

– طبعا هذا الشخص ليس بجلوكاس .

ولم يكن ذلك صحيحا ، لقد كان جلوكاس هو من تقصده ، ولكنها لن تفشى الحقيقة ، **واستمرت قائلة :**

– ظننتك قد تعلمت بعض السحر فى ثيسالى .

فقالت نيديا فى حزن .

ـ لا ، ياليتنى قد تعلمت !

ولم تستطع جوليا أن تعرف مايدور فى شغاف قلب نيديا من حب نحو جلوكاس ، **وسالتها :**

ـ هل سمعت عن الساحر المصرى فى هذه المدينة ؟

ـ طبعا جميع سكان بومبى قد سمعوا عن ارباسيز

ـ هل صحيح أنه قتل فى الزلزال ؟

ـ أوه لا ! لقد جرح فقط ، ومرض ، ولكنه لم يمت ٠

ـ هل أستطيع زيارته ؟

ـ لا ! لا ! لا يحسن لفتاة جميلة أن تذهب لذلك البيت ٠

ـ لن أذهب فى الليل ٠ سأذهب فى وضح النهار ٠

ألا أستطيع الذهاب هناك بالنهار ؟

فقالت نيديا :

– فى وضح النهار ، وفى مرضه الحالى ستقل مخاوفك ٠

وكانت نيديا تود ان تعرف شيئا عن تركيبة الحب السحرية هذه ٠

وقالت لها جوليا :

– تعالـــى هنا غدا ، وســـأخبرك بما تعلمته من ارباسيز ٠ وقد احتاج أن تقومى بخدمة لى ٠

الفصل الثامن عشر

جوليا تزور ارباسيز

كان ارباســيز جالســـا فى حجرته ، والابواب مفتوحة على الحديقة · كان لايزال ضعيفا وفى فترة نقاهة ، ولكنه أصبح افضل كثيرا عما قبل ·

ودخل عليه عبد صغير ، **وقال له :**

ـ هناك امرأة تريد أن تقابلك ·

ـ امرأة ! هل هى صغيرة ؟

ـ لا أستطيع رؤية وجهها ، ولكن أظن أنهـا صغيرة ·

— دعها تدخل !

ودخلت المرأة • لا ! انها ليست ايون كما كان يأمل ارباسيز ، ولكنها امرأة فى نفس طولها وعمرها تقريبا فقال ارباسيز :

— آسف اننى لا أستطيع الوقوف لك ، فلقد كنت مريضا • ماذا يمكننى أن أفعل لك ؟

— اننى فتاة تعيسة ، ولقد جئت لاتعلم من حكمتك •

— وماذا تريدين أن تتعلمى ؟ !

— لأتعلم عن الحب !

— ليس لديك مال ، وترجين حب رجل ثرى ؟ أليس كذلك ؟

— لا ، فأنا ثرية ، وأكثر ثراء من الرجل •

— انت تحبينه ، وهو لايحبك ؟ انك تحتاجين الى تركيبة دواء للحب لتجعليه يحبك ، اليس هذا ماتريدينه ؟

— لا أدرى ان كنت أحبه ، ولكنى أريد أن آخذه وابعده عن الفتاة الأخرى وأضحك عليها •

ـ هل هو من بومبى ؟

ـ لا ، انه من أثينا ٠٠ أثينى !

ـ من أثينا ! ها ! انه جلوكاس ٠ أليس كذلك ؟

فقالت جوليا :

ـ نعم هو ٠٠٠ فهل ستساعدنى ؟

سكت ارباسيز ، ففى البداية ضحك سرا على هذه الفتاة الحمقاء ، **ولكنه فكر الآن وقال لنفسه :**

ـ قـــد تكون هذه وســـــيلة لرد ما قد فعله فى جلوكاس ٠

وقالت جوليا غاضبة بسبب سكوته :

ـ افهم أنك لاتستطيع مساعدتى ، ولكنى أطلب منك أن تحفظ سرى ٠٠٠ واسمح لى بالانصراف ٠

فقال ارباسيز :

ـ انتظرى ! أود أن أساعدك ٠ أنا لا أعرف أى

شىء عن جرعة الحب السحرية هذه ، ولكنى أعـرف أن هناك من يقوم بها · توجد عرافة تعيش قرب سفح جبل فيزوف ·· ربما يمكنها أن تقوم بما تودين · وفى خلال أيام قليلة سأكون قد شفيت تماما وآخذك اليها ·

فقالت جوليا :

– لاحظ أن جلوكاس سيتزوج فى أوائل الشـهر القادم ·

– هل سيتزوج بهذه السرعة ! هل انت متأكدة ؟

– نعم ، لقد أخبرتنى بذلك جارية العروس نفسها ·

فصرخ ارباسيز قائلا :

– هذا ما لن يحدث ! لا تخافى ، ولاتحزنـى ·

سوف تتزوجين جلوكاس · لكن عندما تحصلين على هذه الجرعة السحرية ، كيف ستعطيها له ؟

– لقد دعى أبى جلوكاس والفتاة أيضا الى وليمة بعد غد ، وبذلك ستكون لدى الفرصة ·

فقال ارباسيز :

ـ آه ! سأخبرك بما تفعليه · على بعد ميلين خارج المدينة يوجد حمام عمومى وحديقة ، كثير من اثرياء بومبى ووجهائها يذهبون الى هناك فى المساء ، لاحتساء الخمر ·· وفى الحديقة يوجد تمثال لسيليناس ·· قابلينى غدا هناك ، وعندما يحل الظلام سآخذك الى منزل العرافة ·

وعندما انفرد أرباسيز بنفسه ضحك قائلا :

ـ وبذلك لن يتزوج جلوكاس من ايون ابدا ، وستصبح ايون ملكى !



الفصل التاسع عشر

عرافـــة فيزوف

خرج جلوكاس مع ايون واحدى جواريها فى عربة لمشاهدة بقايا معبد يونانى خارج المدينة ،وكان قرب سفح فيزوف ، وعند عودتهما حل الظلام ·

وفى هذا الجزء من ايطـاليا كانت العواصـــف المفاجئة شيئا عاديا ، وأثناء سير العربة عائدة بهـــم للبيت ، هجمت سحب داكنة واحتلت السماء وهطلت أمطار غزيرة ·

فقال جلوكاس للسائق :

ـ اسرع ! اسرع ، فالعاصفة قادمة بسرعة !

وكان الطريق مغطى بأحجـــار كبيرة ، وفى بعض الأماكن مغطى بصخور صلدة · **فأخذ جلوكاس يصرخ قائلا :**

– اسرع ! اسرع !!

فارتطمت العربة فى صخرة ، وانخلعت احــــدى العجلات ، وسقطت العربة على جانبها ·

ساعد جلوكـــــاس ايون على الخروج من العربة ، وكانوا بعيدين عن المدينة ، **فقالت ايون مستفسرة :**

– ماذا سنفعل ؟

فقال السائق :

– يوجد من يستطيع أن يصلح العجلة مرة أخرى ، ولكنه يقطن على بعد ميل من هنا ·

فقال له جلوكاس :

– احضره باسرع ماتستطيع ، وسنجد نحن كهفا أو ملاذا ننتظر فيه حتى ينتهى من اصلاح العربة ·

ركض السائق ، وبحث جلوكاس فيما حوله الى

ان رأى ضوءا أحمر ضئيلا ليس ببعيد ، رآه بصعوبة من خلال المطر ، فقاد ايون وجاريتها اليه ٠

واخيرا وصلوا الى مدخل كهف حيث كانت هناك نار موقدة في داخله ومعلق فوقها قدرا ٠

كانت امرأة عجوز تجلس على الجانب الآخر من النار ، ولم تتحرك ، وانعكس ضوء النار على وجهها شاحب البياض ، الخالـى من الحيوية ، حتى أنهـم اعتقدوا أنها ميتة ، وصرخت الجارية مولوله :

ـ ابعدا ! ابعدا ! انها عرافة فيزوف !

فقالت العجوز الشمطاء :

ـ من أنتم ؟ لماذا أتيتم هنا ؟

ـ لقد أتينا هربا من العاصفة ٠ هل لنا أن نجلس بالقرب من نارك ؟

ـ تعالوا الى النار اذا رغبتم ٠٠٠ هل أنتما أخ واخته ؟

فقالت ايون :

ـ لا ٠

– هل انتما **متزوجان** ؟

فقال جلوكاس :

– ليس بعد ٠

– **ها** ! انتما **حبيبان** ٠٠٠ **ها** ! **ها** ! **ها** !

وأخذت تضحك طويلا وبصوت مرتفع ، فسـألها جلوكاس :

– لماذا تضحكين ؟

– وهل ضحكت ؟

فالتفت جلوكاس الى ايون **وقال :**

– انها عجوز حمقاء !

– أنا لست حمقاء ! أنا واسعة الاطـلاع ، أنا عرافة فيزوف ٠

فقالت ايون :

– لا تغضبها يا جلوكاس !

فقالت العرافة :

ـ ها ! جلوكاس ··· جلوكاس · هل هذا اسمك ضحكت ياجلوكاس ، لأنى عندما انظر فى قلوب شباب مثلكما ، أفكر فى الوقت الذى يزول فيه الحب ولايبقى غير النزاع والشجار · ها ! ها ! ولكن لماذا اتيتم لى ؟ فلا يأتينى غير التعســـاء ، وهؤلاء الذين يرغبون فى الأذى لعدو ، والأشقياء فى الحب ·· فلهم عندى الكثير من السحر ، أما السعداء فليس عندى لهم شيئا سوى الضحك ، لأن سعادتهم ستزول قريبا جدا ·

وفى هذه اللحظة رأى جلوكاس حية تحت مقعد العرافة ، ورفعت رأسها وتحركت نحوه ·· واخذت تقترب منه أكثر ، فأكثر ! فقال لها :

ـ ابعدى هذه الحية ··· اعيديها الى مكانها !

فضحكت :

ـ انها لن تؤذيك ·

فضرب جلوكاس الحية وسقطت فى النار · فنهضت

العرافة وفردت قامتها وقالت ببطء ، مثبتة عينيها على جلوكاس :

– لقد قتلت المخلوق الوحيد الذى يحبنى ٠ عليك اللعنة ٠ لقد حلت بك لعنتى ٠٠ فليتحطم حبك ! ولينضب قلبك ! ليتدمر عقلك ! فتصبح مجنونا ٠٠ ولتتذكرنى وتتذكر لعنتى فى ساعتك الأخيرة !

فقالت ايون :

– أوه جلوكاس ! ما الذى اقترفناه ! ٠٠ اغفرى له ! خذى هذا الذهب واستعيدى لعناتك ٠ انه لم يقصد ايذاء حيتك ٠

فقال جلوكاس :

– تعالى ياحبيبتى ، انها لاتستطيع أن تؤذينا ٠ فالآلهة لن تستمع لكلماتها الحمقاء ٠

وخرجوا مسرعين ٠

لقد انتهت العاصفة واعيدت العجلة الى مكانها فى العربة وانطلقت بهم عائدين الى المدينة ٠٠ وعندما



ورأى جنوكاس حية تحت مقعد العرافة ٠

اقتربوا من البوابة شاهدوا عربة أخرى خارجة ، **فقال الجندى الذى يحرس البوابة :**

– ان الوقت متأخر بالنسبة للخروج ۰ من انت ؟

– أنا ارباسيز ۰

فسمح الجندى بالمرور ، **وقال جلوكاس :**

– ارباسيز ! اين سيذهب فى هذه الساعة ؟

الفصل العشــــرون

اربـاســـيز والعرافـــة

لقد انتهت العاصفة : وظهر القمر واضحا فى وسط السماء ‥ ورأى ارباسيز نفس الضوء الذى جذب جلوكاس وايون الى كهف العرافة ·

وكانت العجوز مازالت جالسة كما كانت ، والحية ملقاة عند قدميها فوق فراش من أوراق الشجر ، كانت لاتزال حية تتحرك فى الم وحنق ، **فقال ارباسيز :**

ـ انهضى ! انى ارباسيز المصرى !

فالقت بنفسها عند قدميه قائلة :

ـ أعظم السحرة جميعهم !

– لك أن تجلسى . لى حاجة عندك .

– كيف أستطيع خدمتك ؟ امرك مطاع ! فما أنا الا جاريتك !

– تعرفين أسرار النباتات التى تضع حدا للحياة ، أو تغير القلب والعقل . أليس كذلك ؟

– نعم . لقد درست هذه الأمور لعدة سنوات ، منذ أن كنت طفلة

– ستأتيك ليلة الغد فتاة حمقاء تطلب منك جرعة سحرية للحب تعيد لها حب شاب يحب فتاة أخرى . وبدلا من أن تعطيها طلبها ، اعطها شيئا يتسبب فى موته .

– اوه ، ياسيدى ! لا أجرؤ على فعل ذلك ! .. فرجال القانون سيكتشفون الأمر ، وسيقبضون على ويقتلونى .

– هذا الرجل اسمه جلوكاس . ولابد أن يموت !

فقالت العرافة فى استغراب :

ـ جلوكاس !

وتذكرت اسم الرجل الذى قد أتى الى الكهف ذلك المساء نفسه . الرجل الذى قد لعنته · ولكن أن تقتله · فسيكون امرا خطيرا جدا ، فقالت :

ـ لا اتجاسر أن أتسبب فى موته ، ولكنى أستطيع أن أعطى شيئا يدمر عقله · هل هذا يفى بما ترغب ؟

ـ نعم ! موت حى ، حياة بدون عقل ، سيكون ذلك أفضل ، والخطر فى ذلك أقل · خذى كيس الذهب هذا · وغدا مساء سوف نلتقى ثانية عندما احضر لك الفتاة ·

وعندما ذهب ارباسيز ، ضحكت العرافة قائلة :

ـ لقد وصفنى بالعجوز الحمقاء ، وضرب حيتى ، ولعنته ··· وسوف تقع اللعنة عليه !

كان كلوديوس الشاب الثرى وصديقه سالوست واقفين قرب مدخل الحمام العمومى ، عندما وصلت جوليا · فقال كلوديوس :

ـ اعتقد أن هؤلاء العبيد هم عبيد ديوميد ·

فاجاب سالوست :

– نعم ، انهم يحضرون جوليا ابنته ، هنا . انها ثرية ، لماذا لاتحاول أن تجعلها زوجة لك ؟

– فكرت ذات مرة أن جلوكاس سيتزوجها ومن الواضح انها لا زالت تحبه .

فقال سالوست :

– تعال ، دعنا ندخل .. فالخمر فى انتظارنا .

طلبت نيديا من جوليا أن تأخذها معها عندما تقابل ارباسيز ، **وقالت :**

– سأخبر ايون أنك طلبت منى قضاء الليلة معك ، فهى تعرف انك صديقتى .

دخلت جوليا ونيديا الحديقـــة ، بعيدا عن أعين العامة ، الى أن وصـــلتا الى تمثال سيلبناس ، **فقالت جوليا :**

– **انى لا أرى ارباسيز .**

واثناء حديثها خرج ارباسيز من بين الأشجار وقال :

– عزيزتى الفاضلة جوليا · لكن من هذه ؟ لايجب أن يكون معنا أحد

– انها ليست الا فتاة صغيرة ·· انها بائعة الزهور العمياء ·· انها من ثيسالى أرض السحر !

فقال :

– اوه ، نيديا · انى أعرفها جيدا

وجذبها جانبا وقال :

– لقد كنت فى منزلى يانيديا · وتعرفى ماوعدت به هناك باسم الآلهة · ووعدت بعدم الكلام وكتم الأسرار · فلتذكرى ذلك الآن !

ثم وجه كلامه لجوليا :

– جوليا · الا تثقى فى أن تكونى بمفردك معى ؟ فالعرافة لاتحب كثيرا من الزوار فى وقت واحد · دعى نيديا تنتظر هنا حتى نعود ·

وفرحت نيديا أن تبقى بعيدة عن ارباسيز لخوفها منه ·

ومضى الوقت ·· وأخيرا عادت جوليا التى قالت :

– تعالى يانيديا ، فلنمض فى الحال · لقد حصلت على جرعة الحب السحرية · سوف ينسى تلك الفتاة الأخرى · وسيحبنى جلوكاس · وحدى انا !

فصرخت نيديا قائلة فى اندهاش :

– جلوكاس !

– نعم · قلت أنه ليس جلوكـــاس ، ولكن الآن سأثق فيك وأخبرك الحقيقة ·

ولاذت نيديا بالصمت ، فلم تعرف ماذا تقول · وهكذا ساعدت جوليا لتأخذ جلوكاس من أيون ! ولكن هذا لم تكن تقصده ·

وعندما وصل الركب الى منزل ديوميد ، دخلتا الى حجرة جوليا ، وقدمت جوليا النبيذ لينيديا قائلة :

– اشربى هذا ، فلابد انك تشعرين بالبرد ·

فقالت نيديا :

– دعينى ارى جرعة الحب هذه · دعينى امسكها فى يدى ·

فأعطتها قارورة صغيرة مصنوعة من الزجـــاج الأخضر ، **فسألتها نيديا :**

– مالون الجرعة التى فى الداخل ؟

– انها صافية مثل الماء ، وقالت العرافة بأنها ليس لها طعم ولارائحة ·

– هل يسرى مفعولها فى الحال ؟

– عادة ، ولكن أحيانا يحتاج بضعة ساعات ·

– وهل يهم من يعطى الجرعة له ؟

– لا ، وحتى لو كانت أقبح امرأة فى العالم ، فسوف يراها جلوكاس جميلة الجميلات ·

واعادت نيديا جرعة الحب الى جوليا · وكانت هناك زجاجة صغيرة جميلة مصنوعة من المجوهرات

على المنضدة ، فرفعتها نيديا وأخـــذت تتحســـسها بأصابعها ، وقالت :

– أوه ، يالها من تحفة جميلة · هل آخذها ؟

فقالت جوليا :

– نعم ، نعم ، ارجوك أن تأخذيها ، فلدى غيرها الكثير وأفضل منها ·

وذهبا الى النـــوم · كانت جوليـــا متعبة جـدا فأستغرقت على الفور فى نوم عميق ، وانتظرت نيديا ، ثم نهضت بهدوء شديد ، وسكبت العطر من الزجاجة التى اعطتها لها جوليا ، وغسلتها بحرص ، ثم دست يدهـــا فى فراش جوليا برفق وأخذت جرعة الحب ، وسكبتها فى زجاجة العطر المزينة بالأحجار الكريمة ، ثم ملأت القارورة الأخرى بالماء وأعــادتها فى فراش جوليا ·

وجاء النهار ، واشرقت الشمس ، ولكن جوليا مازالت تغط فى النوم ·· فغادرت نيديا المنزل وعادت الى منزل ايون ، وهى تفكر :

– أوه يا أملى ! ياسعادتى ! سيكون جلوكاس لى أنا !

الفصل الحادى والعشرون

وليمة بمنزل ديوميد

سار سالوست وجلوكاس سويا الى الوليمة المعدة فى منزل ديوميد ، **فقال سالوست :**

– **ديوميد** ليس من طبقة النبلاء ، فهو من عامة الشعب ، **ولكن** لديه خمر طيب وابنة جميلة ... انى استمتع بالخمر الطيب ، فهو يجلب لى حياة جديدة . **فقال جلوكاس :**

– **انك تشرب منه الكثير ، فيجلب لك حياة جديدة أثناء الليل** ، ولكنك تبدو كالأموات فى الصباح التالى

– الصباح التالى ؟ أنا لا أصلح لأى شىء فى

الصباح التالى ، فأنا لا أنهض الا بعد منتصف النهار !

واستقبلهما ديموبد عند الباب قائلا :

– صديقى جلوكاس ، انك يونانى . والقاعة التى ستأكل فيها على الطراز اليونانى · أتعشـــم أن تحوز اعجابك ·

وقال سالوست :

– أنظر ! هاهى جوليا الجميلة ·

كان رداء جوليا من القماش الأبيض اللامع ، وبه خطوط من ذهب ، وكانت حليها مدهشة

وجاء بانزا المحتسب ، وكلوديوس الشاب الأحمق الذى قابلناه فى خمارة المصارعين ، كما وصل آخرون توجهوا الى القاعة اليونانية حيث تقام الوليمة ·

وقف جلوكاس بجوار أحد النوافذ قبل جلوسهم ، وكانت جوليا بجانبه ، فقالت له :

– لم أرك مؤخرا · لقد كنا أصدقاء فى يوم ما ·

فقال جلوكاس :

ـ بالفعل ، ومازلنا اصدقاء ٠

ـ اخبرنى ، هل صحيح انك تحب أيون ؟ وأنك ستتزوجها ؟

ـ أتعشم ذلك ، ولكنى مازلت صديقك ٠

ـ ولكن حتى أثناء حديثك معى فعيناك تبحث عن ايون وأنت تتعجل اللحاق بها ٠

ودخلت ايون لتوها ، ورآها جلوكاس ، فقال :

ـ ولأننى أحب فتاة واحدة ، فليس معنى هذا ألا تكون فتاة أخرى صديقة لى ٠

فقالت جوليا :

ـ لا ، بالطبع لا ٠ ولذلك ، كصديقة ، هل لى أن أقدم هدية لك ولايون ؟ ذلك شىء عادى عندما يتزوج الأصدقاء ٠

ـ اشكرك ياجوليا ، هذا كرم منك ٠

ـ تعالى معى الى حجرتى بعد المأدبة وسأعطيها لك ٠

وعندما انتهت المـأدبة ذهب جلوكاس الى حجرة جوليا ، حيث وجدها جالسة ، **فقالت** له :

– جلوكاس ، أرى انك تحب ايون حقا ، وهـى جميلة بالفعل ٠

فقال جلوكاس :

– نعم ، أنا أحب أيون ، وعشمى أن تجدى بين كل هؤلاء الذين يتمنون حبك الشـخص الذى تحبينه بعمق كما أحب أيون ٠

– ادعو الآلهة بذلك ٠ انظر ياجلوكاس ، هذه الحلى هى هديتى التى أود أن أعطيها لأيون ٠

ووضعت الصندوق فى يده ، **ثم قالت :**

– فلتشرب معى نخب صحتها وسعادتها !

ثم لامست الكأس بفمها واعطته لجوكاس ٠

واخذت تراقبه ٠ لقد أخبرتها العرافة أنها قد لا ترى أى تغيير فى الحال ٠

وانزل جلوكاس الكاس من فمه ، واســـتمر فى الحديث بنفس الطريقة اللطيفة كما كان من قبل ·· ووقفت معه قدر استطاعتها ، ولكنها لم تر أى تغيير ، ولهذا اضطرت أن تلقى عليه أخيرا تحية المساء وتتركه يذهب وهى تقول فى نفسها :

ـ فلننتظر الى الغد ·· ياله من تغيير سيحدث له ·· !

الفصل الثانى والعشرون

نيديا وجريمــة الحب

عندما عاد جلوكاس وجد نيديا تجلس فى الحديقة لقد رجت أن يعود قبل أن يتأخر الليل · وبالفعل كانت بواكير النجوم تهل باطلالاتها فى سماء المساء داكنة الزرقة عندما جاء ، فقال لها :

ـ ياطفلتى ، هل تنتظرين من أجلى ؟

ـ لقد كنت أعمل فى الحديقة ثم جلست لأرتاح ·

فقال جلوكاس :

ـ ان الجو دافىء ، أرجوك أن تنادى على الخادم، فأنا أريد مشروبا باردا ·

هاهى الفرصة التى قد انتظرتها نيديا ، فقالت :

– سأجهزه لك بنفسى • فأنا أعرف الشراب الذى تحبه ايون • سأعده لك فورا !

فقال جلوكاس :

– شكرا ، اذا كانت ايون تحبه ، فسأحبه مهما كان •

وعـــادت نيديا بعد دقائق قليلة وأخـذ جلوكاس الكأس من يدها • وشرب نصفه عندما رفع بصره ورأى التغيير فى وجه نيديا ، فصرخ قائلا :

– ماذا بك يانيديا ! نيديا ! هل أنت مريضة ؟ ماذا فى الأمر ؟

ووضع الكأس جانبا ، ثم احس بشعور غريب فى رأسه • وبدت الأرض تميد تحت قدميه ، ثم شـــملته سعادة جارفة ، وشعر كأنه يستطيع الطيران عاليا فى الهواء •• وبدأ يضحك عاليا ، ضحكة لانهاية لها •• وبدت الصور المعلقة على الحائط تتحرك وتضحك معه !

وانهمرت كلمات لامعنى لها من فمه ، واصبح فى عالم غير واقعى خاص به ·· لقد اصبح مجنونا ·

ركضـــت نيديا الى جلوكـــاس ، والقت بذراعيها حوله ، **وقالت :**

ـ اوه ، كلمنى ! جلوكاس ·· جلوكاس ، الا تعرفنى؟ لا تتكلم على هذا النحو المتهور !

فوضع يده على شعر نيديا ، وتطلع الى وجهها ، وجعله هذا يفكر فى أيون ، **فقال :**

ـ جميلة ! جميلة ! ايون جميلة جدا ! احبها أكثر من أى شىء ·· أكثر من الدنيا كلها ، لكنها لاتحبنى · الا تحبيننى يا أيون · لقد انتظرت تحت نافذتك ، ولكن ارباسيز قد كلمك ضدى · لقد قال أكاذيب عنى ·· أوه ، لاتتركينى الآن · ايون ! ايون ! ·· سحابة قاتمة تفرق بيننا · انه ارباسيز ·

فصرخت نيديا تنادى اسمه :

ـ جلوكاس ! جلوكاس !

– من الذى ينادى على ؟ انها ايون · لقد ابعدوها عنى · سوف أنقذها · اين مخرازى ·· (قلمى) آه ! هاهو ·· انى قادم يا أيون ! انى قادم لانقاذك !

كان المخراز عبارة عن قضيب صلب مدبب يستعمل فى الكتابة على قطعة خشب مغطاة بشمع النحل · وكان الرومان يحملون المخراز معهم كما نحمـــل نحن الآن اقلام الحبر أو اقلام الرصاص ··

وفكر معظم الناس أن جلوكاس مخمور وهو يركض فى الشارع ، وأخذوا يضـــحكون عليه ، ولكن هؤلاء ارتدوا فزعا عندما تتطلعوا مرتين · وجاء الى غابة سيبلى التى قابل اولينثوس فيها ابيسيدز أول مرة ··· والتى قال أرباسيز لكالينوس أن يقوم فيها بالمراقبة ·

الفصل الثالث والعشرون

جريمــة قتــل

اراد ارباسيز ان يعرف اذا كانت جوليا قد اعطت « جرعة الحب » لجلوكاس ··· ومــــاذا حدث له ·· وهكذا ، عندما جاء المساء ، شرع فى الذهاب الى منزل ديوميد · وكما يفعل الرومانيون ، حمل مخرازه (قلمه الصلب) معه ·

كان القمر يسدل خيوطه الفضية من فوق عنـان السماء ، ويسطع فوق معبد سيبلى الصغير ، فيلقــى بظلال عميقة تحت الأشجار فى الغابة · تحرك كالينوس بسرعة عبر الظلال الى أن وصل للمعبد ، ومن هنا كان

يستطيع أن يراقب ابيسيديز اذا جاء ليقابل أى أحد ٠٠ وأخفى نفسه فى الظل ٠٠ ثم سمع خطوات ٠

دخل ارباسيز غابة سيبلى ، وفى نفس الوقت جاء ابيسيديز للقاء مع اوليندثوس ، فتقابلا ، فقال أرباسيز :

– ها ! ابيسيديز ! عندما التقينا آخر مرة كنت عدوى ، ولقد اردت أن أراك لأننى لم أرغب فى أن أخسرك كصديق ٠ ان حبى لايون لم يتبدل ، وأود أن أطلب مغفرتها ٠

فالتفت ابيسيديز قائلا :

– لقد هربت من الموت ، لكنك لن تهرب منى ٠٠ وحتى الآن فأنا استعد لاحيط جميع الناس علما بنوع الحياة التى تحياها ٠ تلك الولائم ، وذلك التمثال المتكلم ! سيضحك الناس على معبد ايزيس ، ويعرفونك على حقيقتك ٠

تطلع ارباسيز من حوله ليتأكد من عدم وجود أحد بالجوار ، ثم قال :

ـ كن حذرا ! وانتظر قبل أن تجيبنى · هل هذه خطة قد قمت بها ؟ ام أنك تقول هذا من غضبك ؟

ـ انا خادم الله الحقيقى ، وكلماتى هى الكلمات التى قد وضعها الرب فى فمى ، وقبل مرور ثلاثة أيام سوف تعرف كل شىء ·

استطاع أرياسيز أن يرى الخطر المحيق به ·· ليس نحو حبه لايون ، ولكن لاسمه وسمعته فى بومبى ، بل ولحياته ، فأخذ مخرازه فى يده ·· وتلفت حوله بسرعة، فلم يجد أحدا قريبا منهما ، فصرخ قائلا :

ـ فلتمت !!

وغمد المخراز فى قلب ابيسيديز ·

ونظف ارياسيز المخراز فى سترة الميت ، وكان على وشك الانصراف عندما رأى رجلا قادما فى الطريق ، وهو يترنح من جانب الى آخر كأنه مخمور ··

والقـى القمر ضوءه على وجهه ، انه جلوكاس ، فقال لنفسه :

– ها ! لقد شـرب جلوكـــاس الجرعة ! والآن استطيع أن أتعـــامل مع عدوين فى وقت واحد ورأى جلوكاس الجثة ، فضحك قائلا :

– يا أحمق ! لايجب أن تنـــام تحت ضوء القمر ٠ انهض ! استيقظ !

وحاول أن يرفع الجثة ٠

فانقض ارباسيز وضرب جلوكاس الذى سقط فـوق جثة ابيسديز ، ثم صاح قائلا :

– قاتل ! قاتل ! النجدة ! النجدة !

ووضع قدمه على جلوكاس الذى تمدد هناك مصدرا اصواتا لامعنى لها فى حـــالة جنونه ، وأخذ مخراز جلوكاس وغطاه بالدم ثم وضعه بجانب جلوكاس ٠

وتجمع الناس حولهم ، وقال ارباسيز :

– ارفعوا الجثة ، وراقبوا القاتل جيدا ٠

فرفعوا الجثة ورأوا أنها لكاهن الالهة ايزيس ٠٠

كاهن ايزيس !



وامسك بقلمه الصلب فى يده

قاتل ؟! ٠٠ وازداد اندهاشهم عندما رأوا أن القاتل كان الثرى والاثينى المعروف ، فصاحوا غير مصدقين :

– جلوكاس : هذا لايمكن ٠ لايمكن أن نصدق هذا ! وقال أحد الرجال :

– أنا أصدق أن المصرى هو القاتل ٠ وظهر قائد من قواد الجيش الرومانى فسأل مستفسرا :

– ماهذا ؟ جريمة قتل ! ومن القاتل ؟

فأشار الناس على جلوكاس ٠

– هو ! انه نفسه يبدو شبه ميت ! من يقول أنـــه القاتل ؟

فقال ارباسيز :

– أنا ، لقد رأيت جلوكاس والكاهن يتحدثان ، كان جلوكاس يتحدث بصوت مرتفع جدا ويتصرف بشـــكل غريب ، كأنه مخمور ٠٠ أو مجنونـــا ، ورأيته يرفــع مخرازه ٠ وركضت ولكنى تأخرت عن ايقافه ٠ لقد قتل الكاهن ووقف منتصبا بجواره ، فضربته فسقط ٠ لـــم

أضربه بشدة ، وهذا ماجعلني اعتقد انه مخمور ، أو مجنون · لقد سقط بسهولة !

فقال القائد العسكرى :

ـ عيناه مفتوحتان · تكلم ياسجين · ماقولك فى ذلك ؟

فقال جلوكاس :

ـ أنا مريض ·· أنا مريض ·· خذونى للفراش ، وابعثوا للطبيب · ان جسدى يحترق وعقلى فى نار ·

فقال القائد العسكرى :

ـ مسكين · انه مجنون ، وفى جنونه قتل الكاهن هل رآه اى واحد منكم اليوم ؟

فقال احد الرجال :

ـ نعم ، لقد مر بخمارتى وتكلم معى · كان يبدو فى صحة جيدة عندئذ ·

ـ لقد رأيته من نصف ساعة مضت ، سائرا فى

الشارع ، محدثا نفسه ويتصرف بشكل غريب ، كما قال المصرى .

قال القائد العسكرى :

– أذن ، فلابد أن هذا صحيح ، ولابد أن آخذه وأقصيه بعيدا . ان هذا لأمر فظيع ... كاهن لايزيس .. وأمام معبد سيبلى .. ؟ !

فصاح الناس :

– خذه وضعه فى السجن !

وسمع الناس صوت فتاة .. الفتاة التى كانت قد تكلمت مع ميدون :

– والآن فلدينا سجينان لمنازلة الأسد .

وشق رجل طويل طريقه عبر الزحام . انه اولينثوس الذى تطلع الى الجثة ، ثم قال :

– مقتول ! هكذا يا أبيسيديز ، لقد اكتشفوا خطتك وبهذه السرعة . جريمة قتل ! ومن هو القاتل ؟ ارباسيز ... أنت ! انك انت القاتل !

فاستدار ارباسيز الى الجمهور ، **وقال :**

ـ انى اعرف هذا الرجل ! انه زعيم للمسيحيين ٠ كيف يجرؤ أن يقول انى قاتل ؟ !

وصاح بعض الرجال :

ـ اننــا نعرفه ، انه اولينثوس المســيحى ٠ انه لا يؤمن بالهتنا ٠

فقال اولينثوس :

ـ اسمعونى ! هذا الكاهن المقتول كاهن ايزيس قد تحول الى المسيحية ٠ لقد أخبرنى عما كان يحدث فى معبد ايزيس ، وفى منزل ارباسيز ٠ وكان سيخبر عامة الناس عن هذه الأمور ٠ فمن كان يخشاه ؟ ٠٠ انــه ارباسيز !

فقال القائد العسكرى :

ـ هل تستطيع اثبات ذلك ٠ هل تقسم باسم الالهة سيبلى أن هذه الأمور صحيحة ؟

فقال :

– أنا لا أؤمن بالهتكم !

ودخل المعبد والقى بالتمثال الخشبى على الأرض ، وقال :

– ان الهتكم ماهى الا قطعة من الخشب ٠ هـل تصلون لذلك ؟

– لقد جئت شيئا نكرا ! ٠٠٠ أن تلقى بتمثال الالهة

وركض الناس مندفعين للقبض عليه ٠ لكن القائد العسكرى اوقفهم ، وقال :

– سآخذ الاثنين الى السجن !

وتقدم كاهن لايزيس ، وقال :

– يجب أن تؤخذ هذه الجثة الى معبد ايزيس لقد كان كاهنا لذلك المعبد ٠

فنظر أرباسيز اليه ، وكان كالينوس هو المتحدث ، فقال لنفسه :

– هل ياترى قد رآنى ؟ !

الفصل الرابع والعشرون

أرباسيز يرى خطرا

جلس أرباسيز فى غرفة بالطابق العلوى ،والمنضدة التى أمامه كانت مغطاه بخرائط الكون والنجوم ·· دفع بالخرائط جانبا ، فلم يكن فى حاجة أن تقول له النجوم عن الخطر الذى ينتظره ·· وأخذ يحدث نفسه قائلا :

ـ ان ايون نفسها تشكل خطرا ، فهى شبه مجنونة من الخوف على جلوكاس ، ومن الغضب على هؤلاء الذين يتهمونه بالقتل ·· وتقول على الملأ : « هذا ليس صحيحا ! ·· جلوكاس لا يستطيع أن يقتل أخى ·· انه لايمكن ان يفعل هذا ! ؟ والناس تقول : ما الذى تسبب فى جنونه ؟ أنه شاب قوى ·· وهو لا يشرب كثيرا ، أو

يقترف أمورا شنعاء حمقاء ، ان ذلك حدث بعد الوليمة التى كانت فى منزل ديوميد مباشرة ٠٠ ولكن جوليا لن تتكلم ٠ فلندع جلوكاس يكتب رسالة ، يقول فيها : كنت مجنونا ، ولا أدرى ماحدث ٠٠ وبعدها لن توجد مزيد من الأسئلة ٠٠ لقد قام بفعلتـــه فى جنونـــه ، وهكذا سيطلق القضاة سراحه ، ولكنهم سيعيدونه الى اثينا ، وتبقى ايون لى ٠

ثم وقف وقال :

ــ أنا صـــديق جلوكاس ، ووصــــى على أيون ٠ سأطلب من قاضى القضاة ، رئيس الهيئة القانونية فى هذه المدينة ، أن يعطينى تفويضـــا يخول لى أن أزور جلوكاس ، وتفويضا آخذ به ايون فى رعايتى ٠

كان كلوديوس وديوميد واقفين قرب السلم المؤدى الى مكتب قاضى القضاة ، عندما خرج ارباسيز من عنده **فقال كلوديوس :**

ــ ماذا يريد من قاضى القضاة ؟

فقال ديوميد :

ـ لعل قاضى القضاة رغب فى الاستفسار منه عن الجريمة · انها لعمل مروع ! لماذا اقترف جلوكاس هذه الفعلة الشنعاء ؟ وجوليـا طفلتى المسكينة مريضــة ، ولا ترغب فى الخروج من حجرتها · لقد كان واحداً من افضل اصدقائها ·

وحياهما ارباسيز ، ثم قال :

ـ آه ، كلوديوس ، هل يمكنــك أن تدلنــى على الطريق لمنزل سالوست ؟ ان جلوكاس ، القاتل ،محجوز هناك ، واسمع أنه لم يعد مجنونا ، لكنه هزيل ومريض· اننى صديقه ولدى تفويض من قاضى القضاة برؤيته ·

وصل ارباســيز الى المنزل ، فوجد شخصــا ما مستلقيا عند نهاية السلم معترضا الطريق ، لذلك لــم يستطيع الصعود ، فقال :

ـ انهض ! تحرك جانبا ! اريد المرور ··· ماذا ! نيديا ! ماذا تفعلين هنا ؟

ـ أوه ارباسيز ! انقذه ، أرجوك · انه مريض··

وربما سيموت ، وأنا السبب · انها الجرعة التى تسببت فى جنونه · ان لدى سر ، ولابد أن أخبرك به ·

فتركها ارباسيز ودخل مندفعا الى المنزل ·

جلس ارباسيز بجوار الســـــرير الذى يرقد عليه جلوكاس ، وقال :

– جلوكاس ، لقد كنا أعداء ، ولكنى أتيت الليلة كصديق ··· لانقذ حياتك · اعرف ماقد اقترفته ، ولكن أعرف أنك فعلت ذلك عندما كنت مجنونا ، فاقد العقل · فلم تدرك أن الرجل كاهن ولم تدرك أنه ابيسيديز فكرت أنه حيوان ··· أو ربمــــا اعتقدت انه رجل يحاول أن يقتلك · وقع على هذه الورقة ، ولعلى استطيع أن أنقذ حياتك !

أخذ جلوكاس الورقة بين يديه ، وقال :

– ماهى هذه الكلمـــات ! انها تقول أننى قتلـت ابيسيديز ! ابدا ! لقد رأيته ملقيا على الأرض ، رأيت الدم · هل تحاول أن تجبرنى على القول بأنى قتلته ؟ مستحيل ! ·· أبدا !

ـ اقرأها . فقد تنقذك من الأسود .

ـ أنا ! قاتل شقيق ايون ؟! ابدا !

والقى بالورقة على الأرض ، وقال بصوت مرتفع :

ـ اذهب ! لاتدعنى أرى وجهك ثانية !

وعند خـــروج اربـاســيز الى الشارع القت نيديا بذراعيها حوله وقالت :

ـ هل ستنقذه ؟

رفع ارباسيز نيديا المنهارة اوقفها على قدميهـا ، وفكر فى سريرته :

ـ ان هذه الطفلة تشكل خطرا على ...

ثم قال لها بحزم :

ـ اتبعينى للبيت ، سأسمع منك ماتريدين قولـه لى .

واخبرته نيديا بقصتها ، وقالت :

ـ ... هل سيموت ؟ ... هل تسببت فى قتله ؟ .

انه الانسان الذى أحببته أكثر من أى مخلوق فى الدنيا واكثر من حياتى !

وفكر ارباسيز :

ـ انها خطيرة جدا · جوليا لن تتكلم عن الجرعة ، ولكـن هذه الفتاة قد تتكلـــم ··· وقد تلفت الانتباه للعرافة ، وبالتالى الى ·

ثم قال لها :

ـ ياطفلتى ، يجب أن ترتاحــى هنا بضــعة أيام

ـ سأبذل ما فى وسعى لانقاذه ·

ونادى على عبد من العبيد ، ثم قاد نيديا الى غرفة صغيرة فى مؤخرة المنزل ، وقال :

ـ ارتاحى هنا !

واغلق الباب ، ثم التفت الى العبد ، وقال :

ـ سوزيا ، هذه الفتاة فى رعايتك · اعطها كـل ماتحتاجه ، لكن لاتدعها تخرج ·· لاتدعها تهرب !

خرجت ايون من منزلها · كانت فى طريقها الى قاضى القضاة للحصول على تصريح يسمح لها برؤية جلوكاس · وعندما جاءت الى ناصية الشارع رأت رجلا طويلا واقفا هناك ، وعندما استدار نحوها ، اصدرت صرخة فزع · لقد كان ارباسيز ، الذى جاء اليها وكلمها قائلا :

ـ عزيزتـــى ايون · اننى الوصـــى عليك ، ولقد منحنى قاضى القضاة تفويضا بالعناية بك فى هذا الوقت العصيب ، حيث حوكم الرجل الذى تحبينه فى ســـاحة القضاء بسبب قتله لأخيك · ان هذا الأمر الجلل ثقيل عليك ان تتحمليه وحدك بدون مساعدتى ·

فصرخت باعلى صوتها :

ـ اغرب عن وجهى ! لقد قتلت اخى ··· انت قاتل اخـــى ··· فهل أضـــع نفسى فى رعاية يديـك الداميتين ؟ !

ـ انك لا تدركى ماتقولين ، ولكنى اغفر لك ·

ووضع ذراعه حول خصرها ، وقال :

– تعالى ! فمعى تفويض قاضى القضاة ..

فتملصت من ذراعه ، ونظرت فى وجهه وصرخت **قائلة :**

– ها ! القانون ! يا ايها الوصى المدهش !

وغامت الدنيا من حولها وأصبحت ســـوداء .. وسقطت على الأرض ، وكأنها بلا حياة ، **فقال :**

– ايها العبيد احملوها الى منزلى !!



ايها العبيد .. احملوها الى منزلى !



الفصل الخامس والعشرون

خطـة الهـروب

ظلت نيديا فى مكانها ، ساعة وراء ساعة ٠٠ ولم يعد ارباسيز ٠٠ وتحسست جدران سجنها لتجد منفذا للهرب ٠ فأخذت تنادى ٠٠ وتنادى ، وترفع من صوتها ٠٠ الى أن جاء العبد سوزيا أخيرا ٠ فقال لها :

ـ لماذا تتسببين فى هذه الضجة الكبيرة ؟ اهدئى !

ـ أين سيدك ؟ لماذا تحبسوننى هنا ؟

ـ اعطى ارباسيز أوامره بذلك ٠

ـ لكن لماذا ؟ لماذا تحتفظون بى هنا ؟

– لا أدرى ··· ألا اذا كنت ستخدمين سيدتك ، ايون ، التى حضرت الى هنا اليوم ·

– ماذا ! هل أيون هنا ؟ أرجوك أن تأخذنى اليها !

– انها مريضة ، انها تستشيط غضبا ·· وليس لدى اوامر بأخذك اليها · ولكن ، اذا أردت شخصا تتحدثين معه ، فسأبقى ويمكنك أن تتحدثى معى كما تشائين · فأنا أحس بالوحدة فى غرفتى الصغيرة · انك من ثيسالى ، أليس كذلك ؟ هل تعرفين بعضا من السحر ؟ ·· قراءة الكف ، وتكشفين الطالع ، وتقولين بما سيحدث ، وهذا النوع من الأمور ؟ خبرينى عن مستقبلى ··

فقالت نيديا :

– يمكنك أن تخبرنى أنت بما يحدث لجلوكاس ·

– لقد حضر ارباسيز محاكمته فى ساحة القضاء انه يحاكم لقتله ابيسيديز ، وبالطبع سيلقون به للأسد فى الحلبة · فلقد شاهد ارباسيز جريمة القتل ، شاهده

وهو يقترفها ... سأتركك ، لابد أن أذهب لأنهى عملى بالمنزل .

وتركها مسرعا ...

وأخذت نيديا تفكر :

ـ ارباسيز يقول أن جلوكاس هو القاتل . ارباسيز جعل منى سجينة هنا . لقد احتفظ بى هنا ، لأنه يظن أننى أستطيع أن أساعد جلوكاس . لذلك لابد أن أفكر فى طريقة للهرب . أى طريقة ؟ لابد أن يساعدنى سوزيا . كيف اجعله يساعدنى ؟

وفكرت فيما قد قاله سوزيا :

ـ انت من ثيسالى .. تعرفين قليلا من السحر . تكشفين الطالع ، وهذا النوع من الأمور .

أنه أحمق ويصدق أى شىء .. لدى خطة ! والليل هو الوقت المناسب لهروبى . اعرف ما سوف أفعله !

جاء سوزيا فى الصباح التالى ، فقالت له :

– لقد سألتنى عن السحر ، نعم ، اننى من ثيسالى ولقد تعلمت بعض السحر ··

– آه ! هل يمكنك أن تخبرينى بما سيحدث واى مصارع سيفوز بالقتال ؟ هل يمكنك أن تخبرينى كيف أحصل على مبلغ كاف من المال لأشترى حريتى ؟ هل يمكنك أن تخبرينى اذا كنت سأحصل على الحرية فى يوم ما ؟ هل يمكنك ؟

فقالت نيديا :

– أوه ، نعم ، اعتقد أنى أستطيع ذلك ، لكن لابد من عمل ذلك فى الليل ، ويجب أن تساعدنى ·

– لن يكون هذا خطرا ، اليس كذلك ؟

– لا ، تعال هنا بعد غروب الشمس بثلاث ساعات واحضر وعاء من الماء الصافى من الجدول الملاصق للباب الخلفى الصغير للحديقة ، واترك البوابة مفتوحة حتى تستطيع الهة الجدول أن تدخل ، ثم سأنادى عليها لاظهر لك الاجابات على أسئلتك فى الماء ·

– ســـأفعل ·· ســافعل ·· ماء من الجدول ·· اترك الباب مفتوحــا ·· ثلاث ســـــاعات بعد غروب الشمس ·

– تماما ··· قل لى ، ماذا يحدث فى المحاكمة ؟

– انهم يتحدثــون ··· يتحدثــون ، يتحدثــون ، يتحدثون ، ولكن النهاية معروفة بلا شك ·

– وأيون ؟ هل حجرتها قريبة من هنا ؟

– لا · انها فى الطابق العلوى · انها بخير · لقد رأيت ارباسيز يخرج من حجرتها ، والدم يسيل على وجهه ، وكان الغضب باديا عليه · ولذلك تأكدت انها بخير وفى صحة جيدة ··· تفضلى طعام الافطار لابد ان اذهب الآن ·· ثلاث ساعات بعد غروب الشمس !

الفصل السادس والعشرون

رأيتـــك تقتـــله !

حدث ذلك فى الليلة التى وضعت نيديا فيها خطة الهروب ٠

جاء كالينوس الى بوابة الحديقة ، كان لديه المفتاح ولكنه لدهشته وجدها مفتوحة ، فدخل وأغلقها وراءه ، وقال :

ـ والآن ! ان حياة ارباسيز تحت سلطانى ٠ كـم تساوى حياته فى نظره ؟ كم سيدفع لى ؟ ٠٠٠ عليه أن يدفع كل ما أطلبه منه !

رآه ارباسيز عندما كان ينزل على سلم المنـزل ، فقال له :

– أوه ! كالينوس ، هل تبحث عنى ؟

– نعم · هل لنا أن نذهب الى حجرتك ؟

– لا ، ان الجو لطيف ومنعش هنا فى الحديقة · اننا وحدنا ويمكننا الحديث هنا كما يحلو لنا ، والحديقة تبدو خلابة فى ضوء القمر ·

فقال كالينوس :

– انها حديقة جميلة ·· ومنزلك جميل أيضـا · ولديك المال ، والصحة ··· وكل شىء · عندك الخير كله ·· ها ·· ها ·· والآن ، عـدوك فى قبضـتك ، وستحصل على أيون أيضا ·

– تقصد جلوكاس ؟ انه قاتل ، انه فى قبضـة القانون ·

فقال كالينوس :

– هل هو القاتل ؟ انت تعرف انه ليس كذلك · لقد

كنت في غابة سيبلى ، مختبئا بين الأشجار • وسمعت كل ماقيل • • • ورأيتك تقتله !

- هل كنت بمفردك ؟

- نعم !

- هل أخبرت أحدا بذلك ؟

- لا • •

فسأل ارباسيز :

- ولماذا انتظرت طويلا هكذا ؟ أظنك اردتنى أن أطعن فى جلوكاس وفى المحكمة والقى التهمة عليه ، ثم عندما تروى قصتك سيلقونى الى الأســـد بدلا من جلوكاس • أليس كذلك ؟ أليست هذه خطتك ؟

- انك تقرأ أفكارى كالكتاب •

- حسن ، عندما يتم كل شـــىء ، سوف أجعلك ثريا •

- اذا اردتني أن أصمت ، فلابد أن تدفع لـــى

شيئا الآن ... والباقى فيما بعد · لقد سمعت ان هذه السلالم الصغيرة تؤدى الى حجرة تحت الأرض ، مملوءة بالذهب · ويمكنك بسهولة أن تعطينى منه ما يكفى أن يجعلنى ثريا بل أثرى كاهن فى بومبى ، ويظل لديك أكثر مما تحتاج اليه ·

فقال ارباسيز :

ـ تعال ياكالينوس · سوف تأتى معى وترى الذهب ·

ـ أراه ؟

ـ نعم ، وستأخذ منه قدر ما تستطيع أن تحمله · وعندما يموت جلوكاس ، تأتى ثانية لاخذ المزيد · من الحمق أن تؤذى انسانا يستطيع أن يقوم بهذا القدر من الخير من أجلك · انتظر ، سوف أحضر المصباح !

وتصدر ارباسيز الطريق وهو يحمل مصباحا صغيرا · ونزلا بضعة سلالم ، ثم سارا قليلا ، ثم رأى كالينوس سلالم أخرى ، فقال :

ـ الى أين تؤدى هذه السلالم ؟ الى سجن ما أم الى أحد المخازن ؟

فقال ارباسيز :

ـ تلك السلالم تصعد الى المنزل سنتجه الى اليمين هنا ٠

وضحك ارباسيز وأردف قائلا :

ـ غدا ، سيكون جلوكاس سـجيننا ينتظر القاءه لقمة سائغة للأسد ٠ وكلمة واحدة منك يمكن أن تنقذه ، وتضعنى فى مكانه !

فقال كالينوس :

ـ هذه الكلمة لن تصدر منى أبدا ٠

ووصلا الى باب صغير غائر فى الحائط ، ففتحـه اربا‌سيز بالمفتاح الذى يحتفظ به معه دائما : **وقال :**

ـ ادخـل ، ياصـديقى ٠٠ التهم بعينك كل هذا الذهب ٠٠٠ صناديق ، وحقائب ٠٠٠ وتمتع !

دخل كالينوس بسرعة ، ولكن يدا قوية دفعت بـه للأمـــام فألقته على وجهه ، وقال أرباسيز ، وهو يغلق الباب عليه :

– هذه الكلمة لن تصدر أبدا !

– اطلق سراحى ! اطلق سراحى ! لا اريد شيئا !

وضحك ارباسيز ، وكانت صرخات كالينوس تصل الى اذنيه طـوال طريق عودته ، وقال بين ضـــحكاته المتقطعة :

– سوف يصمت قريبا ··· بعد بضعة ساعات ، أو بضعة أيام ، فالهواء الموجود بالحجرة قليل جدا !

الفصل السابع والعشرون

هـروب نيـديا

قالت نيديا :

ـ حسن ياسوزيا ، هل أنت مستعد بكل شيء ؟

ـ نعـم ، هاهو المـاء • لقد أخذته من الجدول الملاصق للبوابة •

ـ وهل تركت البوابة مفتوحة ؟

ـ نعم ، تركتها مفتوحة ••

ـ ضع الماء هنا • واترك باب هذه الحجرة مفتوحا قليلا حتى يمكن للالهة أن تدخل ••• والآن ، اعطنى المصباح •

– انك لن تطفئى المصباح ، اليس كذلك ؟

– لا ، ولكن لابد أن اذكر كلمات سحرية عليها ٠ اجلس ، والآن ، اعطنى ثوبك ، يجب أن اضــــعه على وجهك وعينيك ٠٠٠ هل تستطيع أن ترى الآن ؟

– لا ٠ لا أرى سوى الظلام ٠٠

– سأنادى على الالهة لتأتى لك ٠ انها لن تأتى فى الحال ، ولكن عندما تأتى ستسمع حركة على الماء ، وكأنها تغلى ٠٠ ثم اسأل اسئلتك ٠٠ وارفع الثوب من على عينيك وسوف ترى الاجابة ٠ هل فهمت ؟

– نعم !

– والآن اصبر ، ولا تتعجــل الأمور ، ولا تنــزع الثوب من فوق عينيك والا فالالهة ستلوذ بالفرار ، ولن تعود أبدا ٠٠٠ أوه ، ايتها الالهة ، تعالى الى هذا الماء من جدولك ! تعالى ايتها الالهة ، تعالى !

انتظر ســـــوزيا ، وأخذ يدعو فى صمت للالهة ٠ وانتظر ٠٠ وطال انتظاره ٠ ولم يأت أي صوت من

الماء . وانتظر .. وطال انتظاره ، واستمر فى الدعاء . وخيل اليه أنه سمع صوتا عند الباب من خلفه ، فقال :

ـ آه ! انها قادمة ! تعالى ايتها الالهة .. تعالى يا الهة الجـــدول ، وادخلـــى فى الماء ، وأجيبى على اسئلتى .

ولكن لم يحدث شىء ... وأخيرا قال :

ـ لن انتظر أكثر من ذلك . انها لا تسمعنى ، لقد ذهبت ، لعلها على سفر ... او عند شخص آخر . ورفع الثوب من فوق رأسه ، وقال :

ـ ماذا ! نيديا ! أين المصـــباح ؟ أين أنت ؟ لقد ذهبت أنت أيضا !

وتحســـس طريقه الى باب ، فوجده مغلقـا من الخارج . اذن فهو سجين ، ولم يجرؤ على الصياح ، فقد يسمعه ارباسيز ويضربه على هروب نيديا . وسيأتى العبيد الآخرون فى صباح الغد ، ويعثرون عليه . وحتى ذلك الحين ... سكون ! سكون تام ! وأخذ يقول :

– اوه يالى من احمق ، غبى ! أوه ، يالهذه الفتاة العمياء ! اين ستذهب وهى عمياء ! آه ، لو رأيتها مرة أخرى ٠٠٠ اه ، لو امسكت بها !

خرجت نيديا الى الحديقة ، وهى تتحسس طريقها فى سكون ، واسرعت تجاه البوابة ، ثم سمعت خطوات من ترى يكون فى هذا الوقت المتأخر من الليل ؟ وسمعت صوت ارباسيز ، الذى كان بينها وبين البوابة ، ولـم تستطيع أن تهرب من ذلك الطريق ٠ ولكنها تذكرت أن هناك طريقا آخر ٠٠٠ تلك السلالم الهابطة التى يجلبون منها النساء سرا الى المنزل اثناء الولائم ٠

تحركت بسرعة بعيدا عن صوت ارباسيز ، الى ان وصلت للسلالم ، فهبطت ثم سارت قليلا الى أن وصلت لسلالم تتجه نحو اليسار ، الى الباب السرى للمنزل ٠ ولم تستطع أن تفتحه ! (ارباسيز لديه المفتاح وقـــد أغلقه ٠)

وسمعت خطوات من خلفها ، ثم سمعت صـــوت كالينوس :

ـ الى أين تؤدى هذه السلالم ؟ الى سجن ما أم الى أحد المخازن ؟

وسمعت ارباسيز يجيب :

ـ تلك السلالم تصعد الى المنزل · سنتجـه الى اليمين هنا ·

ثم سمعته يضحك ويقول :

ـ غدا ، سيكون جلوكاس سجينا ينتظر القـاءه لقمة سائغة للأسد · وكلمة واحدة منك يمكن أن تنقذه وتضعنى فى مكانه !

وقالت نيديا لنفسها :

ـ سيرسلوا جلوكـــاس الى الحلبة ! ويوجد من يستطيع أن ينقذه !

وتصنتت ، فسمعت بابا يفتح ، وسمعته يغلق ، ثم صراخ كالينوس ، ثم خطوات ارباسيز عند انصرافه ·· واتجهت الى الباب الذى سمعت منه الصراخ ، ثـــم وضعت فمها ملاصقا ، **وقالت :**

– كاليغوس ! كاليغوس ! هل تسمعنى ؟

– من هذا ؟

– أنا نيديا ، الفتاة العمياء · اسمع !

– أوه ، انقذينى ! انجدينى ! سأعطيك أى شىء تريدينه ··· كل مالى ، أى شىء !

– أنا لا أريد مالك · أنا أريد سرك · هل حقيقى أنك تستطيع أن تنقذ جلوكاس ؟

– نعم ، نعم ، لقد رأيت القاتل · رأيت أرباسيز وهو يقتل الرجل ·

– وهل ستقول ذلك ، باسم الآلهة ؟ هل ستقول ذلك لقاضى القضاة ؟

– نعم ! نعم ! اذهبى الى قاضى القضاة ·· احضرى الجنود والناس ليكسروا هذا الباب · بسرعة ! سأموت ! لايوجد كثير من الهواء فى هذه الحجرة ·

– ارقد فى هدوء حتى لا تستنفذه بسرعة · سأعود اليك باسرع ما أستطيع ·

كان ارباسيز على وشك الذهاب الى فراشه ، عندما فكر فى نيديا ، **وقال مفكرا :**

ـ كالينوس وضمناه ! فهو لن يبوح بكلمته ابدا ! ولكن نيديا تشكل خطرا ، يجب الا تهرب ٠ ونادى على أحد عبيده ، **وقال :**

ـ كالياس ، اذهب الى سوزيا واخبره ان عليه ألا يدع نيديا تخرج من تلك الحجرة ٠٠٠ مهما كان السبب ٠

ذهب كالياس الى حجرة سوزيا ، فلم يجده هناك ٠ ولذلك ذهب الى حجرة نيديا ، ونادى ، **فسمع صوت سوزيا من الداخل يقول له :**

ـ أوه ، كالياس ٠ شكرا للآلهة انك أتيت ! افتح الباب ٠٠

وخرج سوزيا ، **فقال له كالياس :**

ـ لقد ارسلنى ارباسيز لأخبرك بألا تدعها تخرج لأى سبب من الأسباب ٠ أين هى ؟

فأخبره سوزيا كيف هربت نيديا ، وقال لـه وهو يكاد يبكى :

– والآن ماذا سأفعل ؟ فلعلها حاليا فى مكان ما فى بومبى ، فبوابة الحديقة كانت مفتوحة ، لقد طلبت منى أن أتركها مفتوحة ·

– لا ، انها لم تكن مفتوحة فى ذلك الوقت · فلقد ذهبت الى الحديقة لأحضـــر بعض النباتات ، فرأيت ارباسيز مع كالينوس فى الحديقة · لقد دخل كالينوس عن طريق تلك البوابة ، فلديه مفتاح ، ثم أغلق البوابـة خلفه ·

– اذن ، فهى ما زالت فى الحديقة ! لنذهب فورا ونقبض عليها ·

كانت نيديا قد صعدت السلالم من الحجـرة التى تحت الأرض ، وكانت تتحســس طريقها تجاه بوابـة الحديقة ، فقال سوزيا :

– انتظر ياكالياس ، دعنا نراقبها · انها وصلت

للبوابة ·· انها تحاول ان تفتحها ··· ها ! لقد وقعت في يدى ! ولن تهربى ثانية ·

وقال كالياس :

ـ اقفل فمها ، سيســـمعون صراخها فى المنزل وسيعلم ارباسيز انك تركتها تغادر تلك الحجرة ·

الفصل الثامن والعشرون

نيديا تبعث برسالة

وعادت نيديا الى سجنها مرة أخرى · وبدا الامل بالنسبة لها مســـتحيلا ، وأحضر سوزيا الطعام لها ، فقالت له :

ـ ايها العطوف سوزيا ، اجلس معى قليلا ··· لاتخاف ، فلن احاول الهرب ثانيـــة · وربما ســـأظل مسجونة هنا حتى أموت ·· اننى لا أخشى الموت ··· يمكنك ان تجلس عند الباب ، هنا ! حتى لا اســـتطيع الخروج ··· ولكن قل لى ، ماذا حدث فى المحاكمة ؟

ـ كما توقعنـــا تماما ·· ســـيلقون جلـوكاس فى الحلبة الكبرى · ولأنه سيد من الاشراف فسيسمح

أن يأخذ مخرازه معه ليقاتل به الأسد وسيرضى ذلك جمهور المتفرجين ، فسيحبون متابعـــة القتال ، ولكـن بالطبع لن يمكنه الفوز ٠ أما اولينثوس ، المسيحى زميل جلوكاس فى السجن ، فلن يسمح له بالمخراز ، ولذلك فموته محقق ٠ لن أستطيع مشاهدة هذا العرض ، لأننى لست حرا ، ولابد أن ابقى معك هنا ٠

– ماهو المبلغ الذى تحتاجه لشراء حريتك ؟

– حوالى ألفى سسترس(١) ٠

– فقط ؟ لا أكثر من ذلك ! اذن ، فهذا الذهب الذى اتحلى به فى ذراعى وحول رقبتى يكفى ويزيد عن ذلك كثيرا ٠ سوف أعطيه لك ٠٠٠

– سوف تعطيه لى ؟

– نعم ، اذا ٠٠٠

– لا ! لا ! لا استطيع أن اطلق سراحك ٠٠ ولو حدث ، فأرباسيز سيقتلنى ٠

---

(١) عملة رومانية قديمة .

فقالت له نيديا :

ـ لا ، انك لا تستطيع أن تطلق سراحى ، ولكن يمكنك أن تأخذ منى رسالة · ولن يقتلك ارباسيز على ذلك ·

ـ رسالة ؟ هل تستطيعين الكتابة ؟

ـ نعم ، لقد علمتنى أمى قبل أن أصبح جارية ·

ـ اذن ، فسوف تكتبين لقاضى القضاة ، وتطلبى منه أن يبعث برجال ليطلقوا سراحك ·· وسيعرف ارباسيز بأنى أخذت الرسالة ·· أوه ، لا ! والف لا !

ـ ابدا ، أنا لن أكتب لقاضى القضاة ·· انا أريد أن أكتب لسالوست ، صديق جلوكاس ·· اننى أحب جلوكاس اكثر من روحى · أريد سالوست أن يخبر جلوكاس بأنى ادعو الالهة من أجله ، فقد يجعله ذلك قويا شجاعا فى قتاله مع الأسد ·

ـ ستعطينى كل هذا الدهب لمجرد أخذ تلك الرسالة ؟

– نعم ، ويمكنك الذهاب والعودة فى فترة لاتزيد عن نصف ساعة ، ولن يشعر احد بغيابك ٠ احضر لى مخرازا ولوحا ٠ وساعطيك الذهب عندما تعود ٠

وهكذا كتبت نيديا الرسالة ، وقالت له :

– هاهى الرسالة ٠ اذهب الآن ، فالظلام قد حل ولن يستطيع أحد أن يراك ٠ اعطى الرسالة لسالوست فى يده ٠٠ وليس لأحد آخر ٠

واغلـــق ســـوزيا الباب جيدا ، وذهب الى منزل سالوست ٠ واستطاع أن يصل الى منزل سالوست دون أن يراه أحد ، وقال للرجل الواقف عند الباب :

– لدى رسالة لسالوست ٠

– أتركها معى ٠

– لا ، لقد وعدت أن اعطيها له فى يده ٠

– سالوست صديق حميم لجلوكاس ، انه يشـرب حتى ينسى همومه ٠٠٠ ولكن يمكنك أن تدخل ٠

كان سالوست فى غاية الحزن والأسى ، ولم يرد

صحبة اى من أصدقائه فى حالته هذه ، ولكنه لايستطيع أن يشرب بمفرده ، لذلك اعتق واحدا من عبيده وجعله يشاركه الشراب ، وكان يقول له :

ـ مسكين جلوكاس ! جلوكاس أعز صديق لى ! ·· اعطنى كأسا آخر من النبيذ · ان هذا النبيذ بارد جدا · أوه ، كم يشعر جلوكـــاس بالبرد فى السجن · سأقوم بغلق منزله غدا · ولن يذهب أحد من عبيده ولا من عبيدى الى الحلبة ···· مه ! ··· من أنت ؟ ماذا تريد ؟

ـ لقد اتيت لاحضـــر رسالة لسالوست · رســالة بدون رد ·

ـ رسالة ! لا اريد رسائل فى هذا الوقت لابد أنها فتاة من الفتيات ·· حسن ، اعطنى الرسالة · ضعها على المنضدة وارحل !

فقال له خادمه :

ـ هل ستقرأ الرسالة يا سالوست ؟

ـ اى رسالة ؟ أوه ، اننى سأوى الى الفراش ·

ساعدنى للوصول الى الفراش ٠

وقفل سوزيا راجعا ، **وقال لنيديا :**

– لقد اعطيته الرسالة ٠٠٠

– فى يده ؟

– نعم ٠ فى يده ٠

فقالت نيديا فى سريرتها :

– اذن ، مازال هناك امل !

الفصل التاسع والعشرون

المصارعون فى الحلبة الكبرى

ارتدى كل شخص أفضل مالديه من ملابس للذهاب الى الحلبة الكبرى · حتى ارباسيز اهتم بمظهره أكثر من المعتاد ··· فكانت ملابسه الفاخرة باللون الأبيض والأزرق الملكى ، وحول رقبته قلادة مرصعة بالجواهر ، وحذاؤه ذهبى محلى بقطع من الماس ، وكان يتبعه صف طويل من العبيد ·· جميعهم ماعدا هؤلاء الذين يقومون على حراسة ايون ونيديا ·

لم يكن هناك ريح ، والشمس كانت حارة حارقة ، فالطقس راكد بلا ريح وغارق فى حرارة شديدة ، وكأن

الدنيا فى انتظار حدث مروع ··· فقط كان يمكن رؤية سحابة رمادية فوق بركان فيزوف ·

توقفت ضجة النـــاس فى الحلبة فجأة ، وعزفت الموسيقى ·· ودخل صف من المصارعين ·· ومشـــوا حول الحلبة ، **وسألت زوجة بانزا قاضى القضاة :**

– أوه ، من هذا الشاب الفتى رائع الجمال ؟

– انه لايدن · انه صغير وغير متمرس · انـــه سيقاتل تتراديز · وثلاثة ضد واحد من ضباط كلوديوس ضده ·

فى البداية كان القتـــال بالقفازات ، وستة من المصـــــارعين كانوا فى الحلبة : بالبوس يقاتل ضـــد سبوروس،ولا يدن يقاتل تتراديز ، واثنان من المصارعين الرومان يقاتل كل منهما الآخر · كان تتراديز أكبر وأثقل كثيرا من لايدن ، ولكن لايدن كان أسرع ·

قال تتراديز وهو يتحرك مقتربا أكثر وأكثر نحو خصمه :

– خذ حذرك !

ولم يجب لايدن ، فضرب تترادیز ، ولكن نـزل لايدن فجـــأة على احدى ركبتيه ثم وقف على قدميـه بسرعة ·· وكان قتالا طويلا ، فى البداية كان من الصعب الحكم على من سيفوز · وكان ميدون والد لايدن ، من بين المتفرجين فأخذ يقول :

ـ أوه ، ياولدى الشجاع !

وفى النهاية ضـــرب لايدن تترادیز الذى ســـقط على الأرض ، ولم يستطع أن يستمر فى القتال ، ولكن القتال بالقفازات لم يكن كافيا للفوز بثمن حرية والده · واعلن المنادى :

ـ سيتقابل لايدن مع الفائز من القتال بين بنيموس ويومولبس ·

واعلنت النتيجة وكان الفـــائز هو يومولبس الذى يعتبر من اشهر المصارعين الرومان ·

وبعد القتال بالقفازات ، كان هناك قتال بالسيوف وكان سيف المصارع الرومانى يشبه سكينا طويلا لـه حدين ومدببا من طرفه ·

وجه كبير ضباط الحلبة كلامه الى لايدن قائلا :

– حيث أنك صغير وغير متموس ، فلست فى حاجة لتقاتل الرومانى · ان الأمر متروك لك ·

فأجاب لايدن :

– أنا لست خائفا ، وسأقاتله !

فصاح كلوديوس قائلا :

– اربعة الى واحد ضد لايدن ! عشرة الى واحد ! ··· عشرون الى واحد ! لايدن لايستطيع الفوز ·

وأخذ المصارعان سيفهما وبدأ يستعدان للقتـال · وفى هذا الوقت تسلم قاضى القضاة رسالة ، فقرأها ،

وقال :

– مستحيل ! لا أستطيع أن أصدق ذلك !

وقال صديق ميدون له :

– ابنك امامه خصم خطير ، ولكن ربما لن يسمح

الجمهور بأن يقتله ٠٠٠ ها ! كادت هذه الضربة أن تنال منه ، ولكنه نحاها جانبا ٠ اهجـــم عليه ثانيــة يالايدن ! ٠٠ ماذا تقول ياميدون ؟

فأجابه ميدون :

ـ اقول دعواتى ٠

ـ خذ حذرك يالايدن ! من جـــانبك ! انتبه الى جانبك !

وضرب يومولبس لايدن فأســقطه على ركبتيه ٠ فصرخت تلك الفتاة التى كانت تتحدث مع ميدون عن قتال ابنه للأسد ، وأخذت تقول :

ـ لقد انتهى ! لقد انتهى !

فقالت صديقتها :

ـ لا ، انه لم يصب بسوء ٠

لقد قاتل لايدن قتالا مجيدا ، لكنه بدأ يحس بالتعب وعندما توقفا للراحة ، قال له يومولبس :

– ايها الشاب ، لاداعى للمكابرة ، ساجرحك جرحا صغيرا وبعدها تلقى انت بسيفك وستطلب الجماهير منى أن أبقى على حياتك ·

– ويظل أبى عبدا ··· لا ! حريته ··· أو الموت !

واستمرت المعركة · وأخيرا ضربه الرومانى ، قاصدا أن يجرحه فقط ، ولكن لايدن سقط فوق سيفه ·

كان لايزال حيا ، لكن الموت قريب ، ورفع بصره الى رجل واحد بين تلك المئات جميعها من الناس ، كان يصيح قائلا :

– ولد شجاع ! انقذوه · لقد قاتل ببسالة · وتطلع الى وجهه واحد ··· لعجوز تنهمر دموعه على خديه ، وسمع صرخة واحدة ··· صرخة قلب مكلوم · وقال الضابط :

– احضروا الأسد وجلوكاس !

الفصل الثلاثون

سالوست يقرأ الرسالة

استيقظ سالوست ، ثم تذكر أن صديقه جلوكاس سـيموت فى هذا اليوم ، لذلك انقلب على وجهه وعاد للنوم ثانية ، عله ينسى هذا المصاب الأليم . وأخيرا ، عندما لم يستطع النوم ، نهض وجلس . وكان خادمه جالسا بجوار فراشه ، فسأله :

ـ هل بدأ القتال ... فى الحلبة ؟

ـ نعم ، منذ وقت طويل . ألم تسمع الجمـاهير وهى مارة فى الشارع ، والموسيقى ، والصياح ؟

ـ لا ، شكرا للآلهة ! اريد أن أنام ثانية .. أظن أن

المصارعين فى الحلبة منذ وقت طويل · لم يذهب أحد من عبيدى ؟ أليس كذلك ؟ ··

ـ لا ، كانت أوامرك ألا يذهب أحد ·

ـ هذا صحيح · ماهذه الرسالة التى هناك على المنضدة ؟

ـ لقد وصلت اليك مساء أمس ، ولكنك كنت ·· كنت

ـ كنت مخمورا ، لا أرى أمامى ؟ لايمكن أن تكون ذات أهمية ·

ـ هل أفتحها ؟

ـ أوه ، أجل ، أى شـىء يوقفنى عن التفكير فى جلوكاس المسكين ·

وفتح الخادم الرسالة ، وقال :

ـ أوه ، سالوسـت ، كان يجـب أن تقرأ هذه الرسالة من قبل ! انها من نيديا · انصت :

ـ اننى سجينة فى منزل ارباسيز · يوجد سجين

آخر هنا ، لقد شاهد جريمة القتل بعينه ، ويمكنه اثبات أن جلوكاس لم يقترفها · احضر فى الحال ، واحضر معك رجالا ، وشخصا يستطيع أن يفتح باب الســـجين الآخر ·

فصرخ سالوست ، قافزا من الفراش :

ـ نادى العبيد ! يجب أن نذهـــب فى الحـــال ! وسأرسل خطابا لقاضى القضـــاة فى الحلبة للانتظار لساعة من الزمن قبل ارسال جلوكاس للأسد ·· !

فى الحلبـــة

وضعوا جلوكاس مع اولينثوس سويا فى الحجرة الضـــيقة التى ينتظر فيها المسجونين قبـل موتهم فى الحلبة ، وقال اولينثوس :

– هل تسمع هتافات الجماهير ؟ انهم يهتفون على اراقة دماء اخوانهم من البشر !

فقال جلوكاس :

– اسمع ، ان قلبى يزداد تفطرا ، ولكن الآلهـــة تساعدنى على تحمل ذلك ·

فقال اولينثوس :

– الآلهة ! قل هو اله واحد · لقد علمتك فى السجن لقد بكيت من أجلك ، ولقد دعوت لك ، ولقد فكرت فى روحك اكثر من روحى ·

فاجاب جلوكاس فى وقار :

– صديق باســـل ، لقد انصت لك وأود أن اكون مؤمنا ·· لو أن حياتى طالت قليلا ، لتحولت من آلهتى الى الهك ، ونهلت من نبع علمـــك · وهذا التغيير قد يحتاج الى وقت للتفكير ، ولكن ليس امامنا سوى ساعة واحدة نحياها ·· هل تسمعهم وهم يجرون تلك الجثة الثقيلة مارين بها بجوار بابنا ليخرجوها من الحلبة ؟ قريبا جدا سنكون نفس الشىء ·

وطأطأ برأسه فى سكون ، ودار فى فكره :

– غريب ! ان المسيحى يبدو عليه السعادة والحبور عندما يفكر فى العالم الآخـــر ، بينما أنا حزين مكلوم لمجرد تفكيرى فى انى لن أرى ايون ثانية ·

فتح الباب ، ودخل واحد من الجنود ، وقال :

ـ جلوكاس الاثينى ، لقد حل وقتك ، فالأسـد فى انتظارك !

ـ انا مستعد ٠٠ اخى وزميل سـجنى ، امنحنى بركتك ٠٠ الوادع ٠٠٠ الوداع الأخير ٠

وخرج جلوكاس فى الهواء المفتوح ٠ كان هواء حارا وجافا ، ولم يكن هناك ضوء للشمس ٠ فالسـماء ملبدة بالغيوم ، كئيبة المنظر ٠ وجـاء بعض الرجال ودلكوا له جسمه بالزيت وأعطوه مخرازا ٠ وما فائدة ذلك فى منازلة أسد جائع ؟

تطلـع حولـه فرأى الاف العيون تنظر اليه فى ترقب وانتظار ٠٠ ثم تطلعوا بعيدا الى ذلك الشـىء المعتم القابع فى منتصف الحلبة ٠٠٠ قفص الأسد ٠

قالت فولفيا لزوجة بانزا قاضى القضاة :

ـ أوه ، ان الحر لشديد ! ومع ذلك فليس هنـاك شمس !

لم يقدموا للأسد أى طعام لمدة اربع وعشـرين

ساعة ، ولكنه كان طوال ذلك الصباح قلقا بشـــكل غريب · واعتقد حارسه أن ذلك بسبب الجوع ، لكنه كان يبدى ذعرا أكثر منه غضبا · كان يميل برأسه للأمام ويتشمم الهواء ، ثم يرقد ، ثم ينهض فى قلق غريـب ويصدر زئيره المخيف · والآن يرقد فى قفصه صامتا يميل برأسه على القضبان ·

لـم يعرف الضـــابط مايجب أن يفعلـه ·· ولكن الجماهير كانت تنتظر · وأخيرا أصدر الأمر ، فرفع الحارس الذى يقف من خلف القفص ، البوابة ، وركض مسرعا خارج الحلبة · انطلق الأسد راكضا فرحــا مسرورا بحريته ·

ووقف جلوكاس وقفة استعداد ·· ورفع المخـراز على أمل أن يســتطيع غمزه فى عين الأسد ·· وليس أمامه الا فرصة ضربة واحدة ·

ولكن الأسد لم يبدو عليه أنه رآه أو يعلم حتى بوجوده ·· اذ وقف ساكنا ، ثم تشمم الهواء ، ثم انطلق راكضــا الى الأمـــام ، ولكن ليس فى اتجاه

جلوكاس ٠٠ ثم سار ببطء حول الحلبة ، ملتفتا برأسه من جانب الى آخر وكأنه يبحث عن ملاذ للهرب ٠ وحاول اكثر من مرة أن يقفز فوق الحائط الذى يفصل الحلبة عن الناس ٠ وعندما لم يستطع القفز من فوقه ، أصدر الأسد زئيره عاليا ، لم يكن زئير غضب ٠٠ ولكنه زئير الخوف والفزع ٠

وأخيرا ، وكأنـــه تعب من محاولته الهرب ، قفل راجعا الى قفصه ، والقى بجسمه اللاهث على الأرض فى داخله ٠

فصاح الناس فى حنق وغضب ٠ ونادى الضابط على الحارس ، وقال له :

ـ ماهذا ! اضـــربه ! اوخـــزه ! لابد أن تجعله يخرج ٠

وصدرت صرخة عالية ، ثـم ارتفعت اصـــوات غاضبة اثناء اندفاع احد الأشخاص من بين حشـــود الناس ، ثم ظهر سالوست أمام مقعد قاضى القضاة ، صارخا مولولا :

– ابعدوا جلوكاس ! ابعدوه بسرعة !
واقبضوا على ارباسيز ، انه قاتل ابيسيديز !

فوقف قاضى القضاة مبهورا وسأل سالوست :

– ماذا تقصد ياسالوست ؟ هل أنت مخمـورا أم فقدت عقلك ؟

– ابعد جلوكاس ! بسرعة ! لقد أحضرت معـى هذا الرجل كالينوس ، الذى شاهد جريمة ارباسـيز · افسحوا ايها النـاس ! تراجعوا قليلا ! اعطوا مجالا للكاهن كالينوس !

فقال قاضى القضاة :

– ماذا تريد أن تقول ياكالينوس ؟

– ارباسيز هو قاتل ابيسيديز · لقد رأيت الجريمة ·· وقام بسجنى فى حجرة تحت منزله عديمة الهواء وبلا طعام · اطلقوا سراح جلوكاس !

فهتفت الجماهير عاليا :

– الى الأســد يا ارباســيز ! ·· الى الأســد

يا ارباسيز ! ٠٠ الى الأسد يا ارباسيز ! ٠٠

فصاح قاضى القضاة :

ـ سكوت ! ايها الضباط ، خذوا جلوكاس اخرجوه من الحلبة !

فعلى هتاف الناس :

ـ الى الأسد يا ارباسيز !

فقال قاضى القضاة مرة أخرى :

ـ سكوت !

ثم نفذ عبر السكوت صوت طفلة تصرخ صـــرخة فرح ٠

فسأل قاضى القضاة :

ـ من هذه ؟

فأجاب سالوست :

ـ انها نيديا ، الفتاة العمياء ٠ لقد اطلقت سراح كالينوس وأنقذت جلوكاس من الأسد ٠

فقال قاضى القضاة :

– كالينوس ، هل تقول ان ارباسيز هو قاتل ابيسيديز ؟

– نعم • لقد شاهدت ذلك • شاهدت الجريمة بهاتين العينين •

– سالوست ، أين وجدت كالينوس ؟

– فى سجن تحت منزل ارباسيز •

فالتفت قاضى القضاة الى ارباسيز وساله :

– هل قمت بسجن كالينوس ، كاهن ايزيس ، فى منزلك ؟

فقال ارباسيز :

– لقد قال كالينوس انه سيقول هذه القصة ، وطلب منى أن أعطيه نصف ذهبى حتى يظل صامتا • فأغلقت عليه غرفة تحت منزلى حتى يتم تنفيذ حكم الموت فى القاتل الحقيقى جلوكاس • لماذا لم يقل ذلك عندما اعلنت أن جلوكاس هو القاتل ؟ هذا يحتاج الى

اجـابة · ابعدوا سالوسـت وكالينوس ، فالقضـاة سيتصرفون معهما فى ساحة القضاء · وهذا ليس وقتا لمزيد من الكلام ، ودعوا العرض يستمر ·

فقال قاضى القضاة :

ـ انه على حق ، هاى ، ياحراس ! اتركوا ارباسيز واحتفظوا بكالينوس ، ودعوا العرض يستمر ·

فصرخ كالينوس موجها كلامه للناس **قائلا :**

ـ ماهذا ! هل يقدم جلوكاس للأسد الآن ، ويقرر القضاة من هو القاتل الحقيقى فيما بعد ·· بعدما يكون فات الميعاد ؟ لقد رأيت القتل · رأيت ارباسـيز يقتل ابيسـيديز · الى الأسد ياارباسـيز ! الى الأسـد ياارباسيز !

فهتف الناس :

ـ الى الأسد يا ارباسيز !

لقد شاهدوا الدم ، ويرون المزيد ! المزيد من الدم !!

الفصل الثانى والثلاثون

ثــوران فيزوف

اخذت الجماهير تهتف :

ـ الى الأسد يا أرباسيز ! الى الأسد يا ارباسيز !

الدم ! انهم يريدون الدم ‥ ولم يستطع قاضــى القضاة أن يفعل شيئا · ورأى ارباســـيز الموت يدنو كثيرا ‥ فرفع بصره الى أعلى ، فرأى أمـــرا غريبا مفزعا ‥ فرفع يده الى أعلى وصرخ قائلا :

ـ انظروا كيف تنقذ الآلهة انسانا لم يقترف أى ذنب ، وكيف ستنكل بأعدائى ! ان نيران العالم السفلى تندلع وتطفح من فوقهم !

واتجهت أنظار الجماهير الى حيث تشـير يده ٠ كانت سحابة تتصاعد من قمة فيزوف مثل شجرة سوداء هائلة تنطلق من خلالها فروع من نار ، وتصل لعنـات السماء ٠

صرخت النساء فى خوف ، وتطلع الرجـال الى بعضهم بعضا ، ثم شعروا بالارض تميد تحت أقدامهم ، واهتزت جدران الحلبة ، وسمعوا ، من بعيد ، صوت سقوط الاسقف والبيوت ٠٠ وبدت السحابة السوداء تتدحرج نحوهم ، وترميهم بحجارة ملتهبـــة ، وغبار حارق ، وكنست أمطـــار النار هذه الشوارع الخاوية والحلبة فى لمح البصر ٠

ولم تعد الجماهير تفكر فى ارباسيز ٠٠ واصبحوا يفكرون فى نجاتهم وسلامتهم ٠

واستدار كل امرىء ليفر بنفسه بلا أدنى تفكير فى غيره ٠٠ وفاضت أمواج الجماهير محاولة الخروج من الحلبة ، معتصرين فى بعضهم البعض ، منتزعين حياة البعض من الرجال والنساء والاطفال الساقطين تحت اقدامهم ٠

الى اين المفر ؟ ركض البعض ، متوقعين زلزالا آخر الى بيوتهم ليحملوا ما خف حملة وثقل ثمنه ثم يهربوا قبل فوات الأوان · وركض آخـــرون ، الخائفون من امطار الحجارة الحارقة ، التى ازدادت غزارة ، لاجئين تحت اسقف المنــازل والمعـــابد أو حتى الأكـــواخ · وانتشرت السحابة من فوقهم بشكل أكبر واقوى واكثر سوادا ·

وكانت ليلة مرعبة مباغتة فى وسط النهار ···
لقد أخذوا جلوكاس الى حجرة صـغيرة خـــارج الحلبة · وشقت نيديا طريقها بين الضباط وهى تصرخ والقت بنفسها عند قدميه ، وصاحت بصوت مبحوح :

ـ انا التى انقذتك ! انك حى ! حى !

فاخذها بين ذراعيه ، وقال :

ـ نيديا ، طفلتى !

وفى هذه اللحظة انقلب النهار الى ليل ، وزلزلت الأرض زلزالها ·· وفر الجنود تاركين جلوكاس ونيديا

ينجوان بنفسيهما ، وسمعا فى كل اتجاه ، صراخات الهلع اثناء فرار الناس من الحلبة :

– الزلزال ! ·· الزلزال ! ···

اين اولينثوس ؟ لقد أخذ جلوكاس بيد نيديا وأسرع الى الحجرة التى حجز فيهـــا مع اولينثوس · فوجد اولينثوس راكعا على ركبتيه يصلى ، **فقال :**

– تعالى ياصديقى ! انج بنفسك واهرب · وأشار الى السحابة التى كانت تندفع نحوهم فى سواد أكثر وأكثر ، **وقال له :**

– استمع لصرخات الناس ! اهرب ! اهرب !

لم يرد اولينثوس عليه · فتركه جلوكـــاس وأخذ نيديا وفرا سويا ··· واخيرا انتصب اولينثوس واقفا ، وخرج من الغرفة ، فسمع صوتا يردد دعوات خافتة ، ورأى ضوءا وثـــلاث جثث ممتدة على الأرض مبتلـــة بدمائها ، **فوقف مستفسرا :**

– من الذى ينادى على اسم المسيح ؟

فلم يرد أحد ، ولكنه رأى رجلا عجوزا أشـــيب الرأس جالسا على الأرض وممسكا على ركبتيه برأس أحد الموتى ، ودموع العجوز تتساقط فوق وجه الميت ٠ ابنه ٠٠ ولده لايدن ، لقد مات ٠٠ لقد مات الولد من أجله ٠٠٠ **فقال اولينثوس :**

ـ ميدون ! انج بنفســك ! ان الله ســـيدمر هذه المدينة ٠

ـ ولدى ! لقد كان ينبض دائما بالحيوية ، لايمكن أن يكون قد مات !

فقال اولينثوس :

ـ تعال ! تعال ! لا يمكنك أن تعيد الميت للحياة ٠٠ تعالى بسرعة ٠٠ اسمع صـــرخات الخوف هذه ! اسمع سقوط تلك الجدران على الأرض ! تعال !

فقال ميدون :

ـ لا أسمع شيئا ٠ ولدى المسكين ! لقد قتله حبه لى !

فسحب اولينثوس ذراع ميدون ، وقال مرة أخرى :
– تعال !

– ماذا ! هل تأخذ أبا وتبعده عن ابنه ؟

وأمسك بالجثة فى ذراعيه وقال :

– اتركنى ! يجب أن نكون وحدنا ·

فقال اولينثوس :

– لقد فرقكما الموت بالفعل !

فقال ميدون فى صوت خافت :

– لا ، لا ، لا ! لقد كان الموت أكثر عطفا ·

وسقط على جثة ابنه ·· لقد مات ، وكان الموت أكثر عطفا ·

وأخذ جلوكاس ونيديا يركضان فى الشوارع ، وكانت نيديا قد أخبرته أن أيون فى منزل ارباسيز ، فذهبا الى المنزل ، وعبر جلوكاس القاعة الكبيرة ، ولم يكن هناك أحد ليخبره أين يعثر على حجرة ايون فقفز الى الطابق

العلوى · واخيرا سمع صوتها ، فحطم الباب واخـذ ايون بين ذراعيه ، ثم عاد حيث ترك نيديا ، فسـمع صوت ارباسيز ، الذى عاد لمنزله ليحصل على ذهبه ، ولكن الظلام كان شديدا ، فلـم يسـتطع جلوكاس ولا ارباسيز رؤية احدهما الآخر ·· واسرع ثلاثتهم نيديا وجلوكاس وايون محاولين الوصول الى البحر ·

وفجاة جرفتهم امواج من الناس ، فابعدت نيديـا عنهما ·· فاخذ جلوكاس يصيح باسمها ، ولكن لـم يرد عليه جواب · فعادا ثانية وحاولا العثور عليها ، ولكنهما لم يوفقا ··

كانت نيديا حتى ذلك الحين تتقدمهما تهديهما على الطريق ·· فهى وحدها ، بسبب عماها ، لم تكن تزعجها العتمة ·· فالعتمة وضوء النهـار كانا نفس الشـىء بالنسبة لها · ولكن اى الطرق سيسلكان الآن ؟ فكل شىء معتم · ولم يعرفا أين هما أو الى أين يذهبان ·· وامطرتهما السماء غبارا حارقا ، فقالت ايون :

ـ لا استطيع المضى اكثر من ذلك · اهرب يا أعز حبيب ، واتركنى لحتفى !

- الموت معك أحلى من الحياة بدونك !

واستمرا فى السير ، وهم يســـمعان من حولهما صرخات خوف وألم ، أحيانا تقترب وأحيان أخرى تبتعد فقالت له مرة اخرى :

- أوه ، جلوكاس ياحبيبى ·· دعنى أشعر بذراعيك من حولى ، ودعنى اموت هكذا ·· لا أستطيع المضى ·

- تعالى يا ايون · حياتــك هـــى حياتـــى ··· انـــى أرى أضواء ··· انها مشــاعل رجال يحملونها

وسمعا صوتا يقول :

- اننا بالقرب من البحر · واعدكم بالحرية والثراء لكم جميعا ·

وشــاهدا عبيدا يحملون صـــناديق ثقيلة ، وكان ارباسيز امامهم يمتشق سيفه ، فرأى على ضوء المشاعل جلوكاس وايون ، فصرخ قائلا :

- ها ! ان الالهة ايزيس عطوفــة على حتى فى

هذا اليوم ٠٠ يوم الظلام والموت ٠ ابتعد ياجلوكاس !
تنحى جانبا ! اننى الوصى على ايون ٠ انها ملكى !

فصرخ جلوكاس :

ـ ياقاتل، اقترب خطوة واحدة ، فلن ينفعك سيفك ،
ساقتلك بهاتين اليدين ٠

وفجاة ، اثناء حديثه ، برق ضوء احمر ساطـــع
فوق المكان٠وتوهجت قمة الجبل المكسورة نصفين بالنار
واخفى العبيد وجوههم ، ووقف ارباسيز بـلا حراك ،
وكان يرتفع من خلفه تمثال اغسطس امبراطور روما ٠

امسك جلوكاس بايون بذراعه اليسرى ، وأمســك
بيده اليمنى المرفوعة المخراز الذى كان سيستخدمه فى
الحلبة ٠٠ وصرخ ارباسيز قائلا :

ـ تعالوا ايها العبيد ٠ اما انت ياجلوكاس ، فسوف
اقتلك اذا وقفت فى طريقى !

وتقدم خطوة الى الأمام ٠ وكانت تلك هى آخــر
خطواته ٠ فالأرض اهتزت ، وسمعا دوى سقوط المبانى

من حولهما ٠٠ وسقط التمثال وجزء من الحائط الذى يقف عليه ، ورقد تحته الساحر العراف ، ارباسيز العظيم ، كاهن ايزيس وآخر ملوك مصر ٠

حمل جلوكاس ايون بين ذراعيه وركض فى الشارع الذى كان لايزال متوهجا من التاج النارى للجبل ٠ وفجأة خيمت فوق المدينة ظلال معتمة ، وتحرك جزء من قمة الجبل ، ثم سقط فى مجرى من النار هابطا حتى السفح ، وانتشرت سحب سوداء فوق الارض والبحر ٠

لم يتحمل قلب جلوكاس الباسل اكثر من ذلك ، فسقط على الأرض ممسكا بايون على صدره ، واستسلما للموت ٠٠ !!

الفصل الثالث والثلاثون

النهاية

عندما انفصلت نيديا عن جلوكاس وايون بسبب الزحام،حاولت أن تلحق بهما ثانية ٠٠ ولكن صرخاتها الضعيفة تاهت وسط الاف من صرخات الخوف والألم ٠٠ وعادت الى المكان الذى فقدتهما فيه ، وسألت كل من مر عليها اذا كانوا قد شاهدوهما ٠٠ وفكرت اخيرا :

ـ لقد كنت اقودهما نحو البحر ، ربما ساعثر عليهما فى الطريق اليه ٠

وكان آلاف من البشر ، نصف سكان المدينة ،

يتحركون نحو شاطىء البحر ·· ومر عليها كثيرون ·

واخيرا ظهر عبيد ارباسيز وسط الزحام · فراها سوزيا بسبب الشعلة التى كان يحملها ، فقال لها :

– ها ! نيديا ! ماجدوى الحرية بالنسبة لك الآن ·

– قل لى ياسوزيا ، اين جلوكاس ؟ هل رايته ؟

– نعم ، لقد رايته ملقى على الأرض تحت بوابة المدينة ، ولا أدرى ان كان حيا او ميتا · ربما مات مثل ارباسيز ·

فعادت نيديا فى اتجاه المدينة ، واخذت تنادى باسم جلوكاس · واخيرا اجابها صوت واهن ، فقالت :

– تعالى ، خذ يدى وستنجو ··

فوقف جلوكاس ، وقال :

– نيديا ! أوه نيديا ! انت سالمة !

وتبع جلوكاس نيديا حامـــلا ايون بعض الوقت ، ومساعدا لها معظم الوقت ·· واخذت تقودهما بعيدا

عن الشوارع المزدحمة ، سالكه الحوارى الضيقة غير المزدحمة ، التى تعرفها جيدا ··· واخيرا وصلوا الى البحر · وعثروا على مركب ، وابحر بهم البحارة بعيدا عن اليابسة ··· وناموا : ايون فى احضان جلوكاس ، ونيديا عند قدميه ·

وجاء ضوء النهار ·· ضوء نهار باهت ضعيف ، ولا يزال البحارة من التعب نائمين ، تاركين رجلا واحدا للمراقبة ، ولكن عينيه هو ايضا كانتا مغلقتين ·

نهضت نيديا بلطف ، وتطلعت فى وجه جلوكاس ، ثم قبلته ، وقالت :

ـ فلتباركك الآلهة ياجلوكاس · ولتكن سعيدا مع من تحب ··· ولعلك تتذكر نيديا أحيانا !

واستدارت قائلة :

ـ لقد انقذته مرتين ··· أنا سعيدة بذلك ! ولكنى لن أستطيع أن أساعده مرة أخرى · فلأمت وأنا فى هذه السعادة ·

وسمع الرجل الذى يقوم بالمراقبة صوتا ، وكأنه شىء يسقط فى الماء ·· وفتح عينيه ، ورأى شيئا أبيض فوق الأمواج ··· ثم تلاشى ، واختفى ، فعاد للنوم ثانية ولا حلامه ببيته واطفاله ·

وعندما استيقظ الحبيبان ، كان أول شىء فعلاه هو البحث عن نيديا ، ولكنهما لم يعثرا عليهـا ، فبكيا لفقدانهما أختا عزيزة !

فهـــرس

اقرأ فى هــذه السلسلة



١ ـ **أوليفر تويست :**

تأليف : تشارلس ديكنز

ترجمة : مختار السويفى

٢ ـ **الآمال الكبرى :**

تأليف :تشارلس ديكنز

ترجمة : مختار السويفى

٣ ـ **ثورة على السفينة بونتى :**

تأليف : وليم بلاى

ترجمة : مختار السويفى

٤ ـ **مغامرات شيرلوك هولمز :**

تأليف : سير آرثر كونان دويل

ترجمة : محمد العزب موسى

٥ ـ **المغامرات المرحة لروبن هود :**

تأليف : هوارد بايل

ترجمة : **نادية فريد**

٦ ـ **الغـــاز :**
تأليف : ادجار آلان بو
ترجمة : نادية فريد ...

٧ ـ **عائلة من سويسرا :**
تأليف : يوهان فايس
ترجمة : سناء صليحة

٨ ـ **مغامرات توم سوير :**
تأليف : مارك توين
ترجمة : مختار السويفى

٩ ـ **مغامرات هكلبرى فين :**
تأليف : مارك توين
ترجمة : مختار السويفى

١٠ ـ **رحلة كون تيكى :**
تأليف : ثور هايردال
ترجمة : محمد العزب موسى

١١ ـ **حكايات من شكسبير(١) :**
تأليف : وليم شكسبير
ترجمة : الشريف **خاطر**

١٢ ـ **المزيف :**
تأليف : روبرت أونيل
ترجمة : صبرى الفضل

١٣ ـ **المخطوف :**
تأليف : روبرت **لويس ستيفنسون**
ترجمة : صبرى الفضل

١٤ ـ **الفرسان الثلاثة :**
تأليف : الكسندر دوماس
ترجمة : صبرى الفضل

١٥ ـ **الأرض الطيبة :**
تأليف : بيرل بك
ترجمة : صبرى الفضل

١٦ ـ **حول العالم فى ثمانين يوما :**
تأليف : جول فيرن
ترجمة : صبرى الفضل

١٧ ـ **رحلة الى مركز الأرض :**
تأليف : جول فيرن
ترجمة : صبرى الفضل

١٨ ـ **سجين زندا :**
تأليف : أنتونى هوب
ترجمة : محمد العزب موسى

١٩ ـ **أنا كارنينا :**
تأليف ليو تولستوى
ترجمة : محمد العزب موسى

٢٠ ـ **جين اير :**
تأليف : شارلوت برونتى
ترجمة : صبرى الفضل

٢١ ـ **مرتفعات وذرنج :**
تأليف اميلى برونتى
ترجمة : صبرى الفضل

٢٢ ـ **رجال عظام ونساء عظيمات :**
تأليف : ليزلى ليفيت
ترجمة : مختار السويفى

٢٣ ـ **دافيد كوبرفيلد :**
تأليف : تشارلس ديكنز
ترجمة : مختار السويفى

٢٤ ـ **حكاية مدينتين :**
تأليف : تشارلس ديكنز
ترجمة : حسين البنهاوى

٢٥ ـ **أوقات عصيبة :**
تأليف : تشارلس ديكنز
ترجمة : د . على كامل شحاته

٢٦ ـ مذكرات بيكويك :
تأليف : تشارلس ديكنز
ترجمة د . أنور شتا

٢٧ ـ توم جونس :
تأليف : هنرى فيلدنج
ترجمة : نادية فريد

٢٨ ـ الزنبقة السوداء :
تأليف : الكسندر دوماس
ترجمة : صبرى الفضل

٢٩ ـ بعيدا عن الناس :
تأليف : توماس هاردى
ترجمة : محمد عبد الحميد الجمال

٣٠ ـ العقل والعاطفة :
تأليف : جين أوستن
ترجمة : صبرى الفضل

٣١ ـ **الكبرياء والهوى :**

تأليف : جين أوستن

ترجمة : صبرى الفضل

٣٢ ـ **حكايات من شكسبير(٢) :**

تأليف : وليم شكسبير

ترجمة : الشريف خاطر

٣٣ ـ **ذات الرداء الأبيض :**

تأليف : ويلكى كولينز

ترجمة : نادية فريد

٣٤ ـ **جزيرة الكنز :**

تأليف : روبرت لويس ستيفنسون

ترجمة : مختار السويفى

٣٥ ـ **كنوز الملك سليمان :**

تأليف : سير رايدر ها جارد

ترجمة : مختار السويفى

٣٦ ـ **دكتور جيكل ومستر هايد :**

تأليف : روبرت لويس ستيفنسون

ترجمة : مختار السويفى

٣٧ ـ **قلعة الخطر :**

تأليف : مارى ستيورات

ترجمة : صبرى الفضل

٣٨ ـ **أبناء الغابة الجديدة :**

تأليف : كابتن ر٠ن ماريات

ترجمة : نادية فريد

٣٩ ـ **ثلاثة رجال فى قارب :**

تأليف : جيروم ك ٠ جيروم

ترجمة : د ٠ على كامل شحاته

٤٠ ـ **اللؤلؤة :**

تأليف : جون شتاينبك

ترجمة : محمد عبدالحميد الجمال

٤١ ـ شجرة الجاكاراندا :
تأليف : هـ ٠ ا ٠ بيتس
ترجمة : محمد عبد الحميد الجمال

٤٢ ـ كيبس :
تأليف : هـ ٠ ج ٠ ويلز
ترجمة : عبد الغنى داود

٤٣ ـ من الأرض الى القمر
تأليف : جول فيرن
ترجمة : صبرى الفضل

٤٤ ـ أول رجل على سطح القمر :
تأليف : هـ ٠ ج ٠ ويلز
ترجمة : صبرى الفضل

٤٥ ـ آخر أيام بومبى :
تأليف : لورد ليتون
ترجمة : صبرى الفضل

رقم الايداع ٨٣٣٢ / ١٩٨٩
الترقيم الدولى ٥ ـ ٢٢٧٨ ـ ٠١ ـ ٩٧٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب